الحِرَابُ الثلاث
أشْرَاطُ السّاعَةِ بَيْنَ التّهْوِينِ والتّهْوِيلِ

إعداد
الدكتور/ محمود محمد حسين على
كلية أصول الدين القاهرة – جامعة الأزهر

تصدير

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾
[سورة الشوري : الآية ١٨]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ﴿سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ. يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ. وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيَخُونُ فِيهَا الأَمِينُ. وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ (قِيلَ: وَمَا الرَّوَيْبِضَةُ. قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ) فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ﴾.([1])

مدادٌ مثلَ حالكةِ الغُرابِ وأقلامٌ كمرهفةِ الحرابِ([2])

---

[1] - رواه أحمد في مسنده جـ ٢ صـ ٢٩١ نشر مؤسسة قرطبة ، ورواه ابن ماجة في سننه -كتاب الفتن -باب شدة الزمان جـ٢ صـ ١٣٣٩ رقم ٤٠٣٦ ،ورواه الحاكم في مستدركه جـ ٤ صـ ٥١٢ وصححه ، ورواه الهيثمى في مجمع الزوائد جـ ٧ صـ ٢٨٤ وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ، وفي إسناد الطبراني ابن لهيعة وهو لين ، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٣٦٥٠ .

[2] - لسان العرب : جـ ٣ صـ ٢٩٥

﴿ فاتحة وتمهيد ﴾

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد ،فقد كثرت في الآونة الأخيرة الكتب، والأشرطة ، والمقالات ، التي تتحدث عن أشراط الساعة ، وفتن آخر الزمان ، وعمر أمة الإسلام ، وقرب قيام الساعة ، ونزول المهدي ، وغيرها من أمور المغيبات – والغيب حق ، والإيمان به أول صفات المتقين في القرآن الكريم – ، لكن المؤسف أن هذه الكتب تعتمد على كثير من الأحاديث الضعيفة ، بل والموضوعة والمكذوبة وغيرها من الإسرائيليات ، أضف إلى ذلك التأويلات الفاسدة والمتعسفة التي تخرج الأدلة الصحيحة عن مدلولاتها .

والمؤسف أكثر مما سبق أن تلقى هذه الغثائات رواجا بين الشباب والمثقفين والمؤسف أن يتخذ من هذه النبوءات تكأة للقعود والخمول والانتظار ، بل والهروب من ميدان الواجب ، ويعلم الله أنني لولا إلحاح الكثيرين ممن اهتموا واغتموا بمشاكل الأمة ، لولا إلحاحهم في طلب الود على هذه الكتابات لما رضيت أن ألمحها بمؤخر عيني ، أو أفكر فيها بفضول قلبي لأنها من تلاعب الشيطان بالصبيان !!!

لعمر أبيك ما نسب المعلّى * الى كرم وفي الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرت * وصوح نبتها رُعِي الهشيم(٣)

وهى والله البلاد قد اقشعرّت ، وصوّح نبتها (تمّ يبسه)، وهو والله الهشيمُ يُرعى !!!

وما هكذا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أخبرنا بأشراط الساعة ، وما هكذا شأن من يفقه سنن الله في الأنفس والآفاق ، ومن يعرف سنن الله في التغيير ، فلله عز وجل أولاً : أحكام شرعية ، وأحكام قدرية ، ونحن متعبدون بالأحكام الشرعية من تكليفات وأوامر

---

٣ – في أواخر القرن الرابع دعا الناس في مدينة القيروان على بن خلف المعافري – وكان حافظا بارعا في علم الحديث ومن خيرة العلماء –ليجلس فيهم معلما فأبى ، وأغلق عليه بابه ، فهدموا عليه بابه فلما رأى ذلك خرج ينشد البيتين المذكورين ، وهما من شعر أبى بصير ثم بكى وقال : وأنا والله ذلك الهشيم وبكى وأبكى فكيف لو رأى من يحدثوا الناس في هذه الأيام !!!!!!!! انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ١١صـ٣٧٧ طبعة دار الحديث .

ومن قبل ذلك قيل لأبي حنيفة : لا يزال هذا المصر بخير ما أبقاك الله فيه فأجاب :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن البلاء تفردي بالسؤدد

[انظر شرح مسند أبي حنيفة للإمام القارى]

ونواه ، أما الأحكام القدرية التي تدخل فيها المغيبات المستقبلية ، فنحن غير متعبدين إلا بالتصديق بها ، ثم الامتثال لأحكام الله الشرعية فيها إذا جاء أوانها ، ومع ذلك فإن الله لم يتعبدنا بالانتظار حتى تقع الأقدار خيرها وشرها ، ولكن تعبدنا بالإعداد والاستعداد لملاقاة أي خطر قائم أو قادم يهدد ديننا ، وأمتنا ، ولله عز وجل ثانيا : سنن في الأنفس والآفاق لا تتبدل ولا تتغير ، فما يقع في هذا العالم من حوادث ومجريات لا يقع صدفة ، ولا خبط عشواء ، وإنما يقع ويحدث وفق قانون عام دقيق ثابت صارم لا يخرج عن أحكامه شيء .

والبشر يخضعون لقوانين ثابتة – يسميها القرآن بالسنن– في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة ، وما يكونون عليه من أحوال ، وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية أو الضيق في العيش ، والسعادة والشقاء ، والعز والذل والرقي والتأخر ، والقوة والضعف ، وما يصيبهم في الدنيا والآخرة من عذاب أو نعيم ، فالذي يحكم الأمور عندنا هو قانون الأسباب والمسببات الذي يجري به قدر الله بما يشاء الله وقوعه ، فلا نظن أن سنن الله تعالى ستحابي أحدا ، وقد انطبقت هذه السنن على صاحب الرسالة نفسه نصرا وهزيمة ، فعندما قصروا في اتخاذ الأسباب المطلوبة لا ستكمال النجاح في " أحد " هزموا ، وقيل لصاحب الرسالة : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ [سورة آل عمران : من الآية ١٢٨] وإذا استكملوا أسباب النصر انتصروا ، فقدر الأسباب والمسببات لن يحابي من يجافيه ، وإذا كان بعض المسلمين ينتظر أن تمطر عليه السماء ذهبا أو فضة ، أو نصرا مؤزرا ، أو حادث سعيد يعيد مجدا ويقيم ملكا دون أخذ بالأسباب ، فإننا نقول له مهلا ، فكل شيء خلقه الله بقدر .

والبشر جاءوا في هذه الدنيا لوظيفة محددة ﴿ *إني جاعل في الأرض خليفة* ﴾ [البقرة : الآية ٣٠]، جاءوا لأداء رسالة سامية ﴿ *وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون* ﴾ [الذاريات : الآية ٥٦]، وليست العبادة هي الصلاة والصيام ، وأشباههما كما يفهم البعض ، لكن العبادة أيضا هي عمارة هذه الدنيا ﴿ *هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها* ﴾[سورة هود : من الآية ٦١]، الاستعمار هو طلب العمارة؛ والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب، ، فقوله تعالى: ﴿*استعمركم فيها* ﴾ خلقكم لعمارتها، وفي صحيح البخاري:﴿ *استعمركم فيها* ﴾ جعلكم عمارا.

هذا وغيره يضيع في وسط هذه التهويلات والتهويمات والأوهام التي تسطر في كتب ، وتنسخ في أشرطة لتوهم العامة أن يتفرجوا على

الأحداث بدلا من أن يشاركوا في صنعها كما أراد الله، هذه التهويلات التي هي أشبه بالمخدرات ، ولكنها مخدرات فكرية ، تصيب الأمة بحالة من إدمان الترف الفكري ، وإدمان القعود والكسل ، والنوم لكن ليس في العسل !!!!

ولو فكر المسلمون كيف فتحت القسطنطينية لتعلموا من هذه الحادثة فقط كيف يتعاملوا مع نبوءات رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشاراته ، فالقسطنطينية فتحت لأن فاتحها سمع حديثا من أستاذه يخبره بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الجيش جيشها ولنعم الأمير أميرها ، فتطلع محمد الفاتح أن تكون هذه البشارة من نصيبه ويكون هو نعم الأمير ، ففتحت القسطنطينية ، ولم يكن محمد الفاتح فقط هو الذي تعلق بأن يكون هو صاحب هذه البشارة فقط ، بل كان قبله غيره كثيرين منهم سيدنا أبو أيوب الأنصاري الذي دفن على أسوار القسطنطينية ، ووالد السلطان محمد الفاتح السلطان مراد الذي حاصرها وحاول فتحها فمات قبل أن يبلغ أمله ، وغيرهم كثير .

ولو التزم هؤلاء الكتبة الضوابط التي وضعها علماء الأمة ، وأئمة السنة الأولين لكانوا أهدى سبيلا ، ولكنهم كانوا للأسف بلاء على السنة ، وفتانين عن الإسلام كله، فما يكتب في هذا الموضوع – وغيره كثير – يحتاج إلى عملية غربلة وترشيح ، يحتاج إلى تهذيب وتذهيب ، وذلك على ضوء القواعد التي وضعها أئمتنا العلماء ،ويكفينا فقط أن نعرف ما ورد في أي موضوع من الموضوعات من آيات الله ، وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم مما صح سند وصرح لفظه ففيهما الغناء والشفاء.

وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الذي نراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا ، ففي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: ﴿سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾.

وفي رواية أخرى : ﴿ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ﴾ .([4])

---

[4] – صحيح الإمام مسلم : المقدمة – باب النهي عن الرواية عن الضعفاء جـ ١ صـ ٧٨، ٧٩.، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٨١٥١

وإذا كان الإفراط في هذا الميدان – وغيره – مذموم ، فإن لتفريط أيضا كذلك ، فكلاهما مضران ، وربما كان التفريط أكثر ضررا ، إلا أن الإفراط أكثر ذنبا ، لأنه يسبب التفريط !!!!

فالنقصان والزيادة في الحديث الشريف ممنوع ، بل الزيادة أضر لإفسادها النظام ، وفتحها أبوابا لمرور الأوهام ، لأن الجهل ربما يكون عذرا للنقصان ، بينما الزيادة لا تكون إلا بالعلم ، والعالم لا يعذر ، فإدخال زيف الحكايات ، وخبث الاسرائيليات ،وأباطيل الشبهات ، في جوهر الشريعة، ودرر الأحكام ، بل وبينات العقيدة ، إنما هو حط لقيمتها وتنفير لطالبيها من متحري الحقيقة ، وقد قيل من لم يجد اللب ينهمك في القشر ، ومن لم يعرف الحقيقة ينزل إلى الخيالات ، ومن لم ير الصراط المستقيم يقع في الإفراط والتفريط .

نعم لقد فتح باب السماح بالإفراط فاختلطت الأشياء المزيفة بتلك الحقائق الرفيعة ، ولما شاهد أهل التفريط والنقد غير المنصفين هذه المزيفات بين تلك الحقائق التي لا تقدر بثمن ظنوها كلها مزيفة ، أو اتخذوا هذا ذريعة لرد الكل ظلما وإجحافا !!! وحاشا لله

إن الصديق الجاهل الأحمق ، يضر الدين بمثل ما يضر به العدو الألد ، أو أشد ، فالذين يروجون لخيالات مفرطة تروج على العوام يفسدون أكثر مما يصلحون ، فهذه المبالغات تشوش الأمور وتبلبلها ، وتضحي باللباب من أجل القشور ، وليعلم هؤلاء أن حبة من حقيقة خير من قنطار من الخيالات ، والحق مستغن عن هذا ، والحقيقة غنية عنه ، فنورهما كافيان لإنارة القلوب.

لذلك كان هذا البحث المتواضع الذي لم أناقش فيه التفاصيل ، وإنما حاولت فيه أن أتكلم عن بعض الأصول التي يمكن الاستهداء بها في فهم هذه الأحاديث الشريفة موضوع البحث،والتي يكتنفها بعض الغموض ، وما أبدع قول النورسي (كما أن في القرآن الكريم آيات متشابهات تحتاج إلى تأويل ، أو تطلب التسليم المطلق ، كذلك في الحديث الشريف مشكلات [أي فيها إشكال] تحتاج إلى تفسير أو تعبير دقيقين ،فلا تفسر كالمحكمات ، ولا يتمكن كل واحد من معرفتها)([5])

---

[5] – الإمام النورسي : المكتوبات صـ ٤٠٠ ، وانظر أيضا الشعاعات صـ ١٠٤ طبعة سوزلر للنشر – القاهرة.

وقوله : (إن للمسائل الإسلامية طبقات ومراتب ، فبينما تحتاج إحداها إلى برهان قطعي – كما في مسائل العقائد – تكتفي الأخرى بغلبة الظن ، وأخرى إلى مجرد التسليم والقبول ، وعدم الرفض . لهذا لايطلب برهان قطعي ،وإذعان يقيني في كل مسألة من مسائل الفروع أو الأحداث الزمانية التي هي ليست من أسس الإيمان ، بل يكتفى بالتسليم وعدم الرفض)[٦]

وكما وضع العلماء قواعد لفهم الآيات المتشابهات ، كذلك وضعوا قواعد – وإن كانت متفرقة مبثوثة في الكتب – لفهم الأحاديث المشكلة ونخص منها في بحثنا هذا أحاديث الفتن .

فنحن هنا نجمع كلام العلماء ، وننشره ، فمنهم السبق ، ولهم الفضل ، وعظيم الأجر والمثوبة ، فهم سطروا السطر الأساس لنحذوحذوهم .

ولكن بكوا قبلي فهيجوا لي البكا وهيهات ذو رحم يرق لبكائي

هذا مع اعترافي بفضل سبقهم ، وبعد شأوهم ، مع قصورى عن الجري معهم في ميدان ، وعجزي عن مزاحمتهم في هذا الشان

وكما قال جرير :

وابنُ اللبون إذا ما لُزَّ في قرَن لم يَستَطِعْ صَولَة البُزْل القناعيس [٧]

لكنني على فضل ربي الذي أمدّهم عولت ، ومنه استمددت العناية وعليه توكلت ، وحسبي أنني أسير خلف ركاب القوم كما قال الشاعر :

أسير خلف ركاب القوم ذا عرج

مؤملا جبر مالافيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا

فكم لرب السماء في الناس من فرج

وإن ظللت بقفر الأرض منقطعا

فما على أعرج في ذاك من حرج

---

[٦] – المرجع السابق : ٣٨٧، ٣٨٨

[٧] – البيت لجرير في هجاء عمرو بن لجأ ، والبيت من البحر البسيط ،وهو في ديوانه ٣٢٣ وفي سيبويه ٢٦٥/١ وابن اللبون : الصغير من الإبل ، ولز ربط والقرن الحبل ، والبزل جمع بازل وهو البعير القوي ، والقناعيس جمع قِنْعاسٌ، بالكسر، من الإبل: العظيمُ، والرجلُ الشديدُ المَنيعُ انظر القاموس المحيط – باب السين فصل القاف

في هذا البحث أتحدث في المبحث الأول : عن الحراب الثلاث الموجهة إلى صدر الأمة – من داخلها – تبيانا لخطر هذه الكتابات المسمومة التي تُبث في هذه الأيام – في هذا الموضوع وغيره – وعلى نطاق واسع .

ثم أتحدث في المبحث الثاني عن الساعة وأشراطها كما وردت في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة وذلك بصورة موجزة .

وفي المبحث الثالث أتحدث عن بعض القواعد التى يمكن الاستهداء بها في فهم الأحاديث الشريفة موضوع البحث ، وخاصة ماكان منها مشكل المتن .

وفي المبحث الرابع : أناقش أحد الكتب التى تلقى رواجا بين الشباب في هذه الأيام ، محاولا أن أبين سمومه ، وأوهامه التى يبثها في عقول العامة . ولايعنى هذا أن هذا الكتاب يستحق الرد ، ولكن كما سبق أن قلت إن رواجه بين

****

ولعل مؤمنا يرى أنه كان من الأحوط ألا نرد على هذا الكاتب أو أمثاله ، وأن نكتفي باستعراض أشراط الساعة ، وقواعدها (إذ الإعراض عن القول المطرح أحرى لإماتته ، وإخمال ذكر قائله ، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيها للجهال عليه ، غير أنا لما تخوفنا من شرور العواقب ، واغترار الجهلة بمحدثات الأمور ، وإسراعهم إلى اعتقاد خطأ المخطئين ، والأقوال الساقطة عند العلماء رأينا الكشف عن فساد قوله ، ورد مقالته بقدر ما يليق بها من الرد ، أجدى للأنام ، وأحمد للعاقبة إن شاء الله)[٨] وبعد ، فما كان من صواب فمن الله وما كان غير ذلك فمن نفسي ، ومن الشيطان ، والله أسأل أن يغفر لنا الزلل ، وأن يهدينا سبل الرشاد ، وهو المستعان وعليه التكلان ،

---

[٨] – اقتباس من كلام الإمام مسلم في مقدمة صحيحه صـ٢٢ [باب : بيان أن الإسناد من الدين ، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات ، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب ، وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة].

المبحث الأول
الحِرَابُ الثلاثُ

١- دروعُ الأمّة :

أمتنا مبتلاة من الخارج ومن الداخل ، فالخارج يكيد ويمكر ، ويتآمر ويدبر ، والداخل إما عاجز ضعيف ، أو جاهل خفيف - إلا من رحم ربّك وقليل ما هم - ورغم أن الحراب الموجهة إلى أمتنا من خارجها في هذه الأيام عاتية ، ومرهفة ، ومسمومة حاقدة ، إلا أن الحراب الموجهة إلى صدر أمتنا من داخلها لا تقل ضراوة عن الحراب الموجهة إليها من خارجها ، بل أعتقد أنني لا أكون مغاليا حينما أقول ، إن متانة البناء الداخلي لأمتنا ، وإصلاح ذات البين هو الأساس والذي تهون معه كل مؤامرة من خارج الأمة.

والله عز وجل قد علم سيدنا داود عليه السلام أن يصنع الدروع ليحمي الصدور من بأس الحراب ، ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾ [سورة الأنبياء :الآية: ٨٠] أي علمناه اتخاذ الدروع لكم بإلانة الحديد له، واللبوس عند العرب السلاح كله؛ درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا.

وكذلك سبحانه جعل في أمتنا - حفظا لدينه - دروعا تدفع عن الدين حراب الداخل، وحراب الخارج على حد سواء ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [سورة الحجر: الآية :٩]، فالعلماء هم دروع هذه الأمة ، تحصن هذه الأمة من بأسها ، وترد عنها حراب أعدائها ، وإذا كان تعبير الدروع قد يفهم منه موقفا دفاعيا سلبيا لعلماء الأمة ، إذ كان ينبغي أن نتحدث أيضا عن سهام وحراب للحق نصوبها إلى من بغى واعتدى ، فإننا نقول إن الحق لايحتاج إلى سهام ولا إلى حراب، وإنما يحتاج فقط إلى من يظهره للناس على صورته الناصعة الحقيقية ، فإن من يرى الحق وهو صاحب فطرة نقية لايملك إلا أن ينصاع لسلطانه .

العلماء هم دروع الأمة ، وهم رابضتها ، رابضتها أي بقية حملة الحجة لاتخلو الأرض منهم ، الرابضين المقيمين للدفاع عنها ، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال للضَّحَّاكِ، وقد بَعَثَهُ إلى قوْمِهِ: ﴿إذا أتَيْتَهُمْ فارْيضْ في دارِهِمْ ظبْيا"، أي: أقمْ آمِناً كالظَّبْي في كِناسِهِ، أو لا تَأمَنْهُمْ، بل كُنْ يقِظاً مُتَوَحِّشاً، فإنَّكَ بينَ أظْهُرِ الكَفَرَةِ﴾.(٩)

---

٩ - هذا الحديث بحثت عنه فلم أجده في كتب الحديث ، وإنما هو في كتب اللغة انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير جـ٢صـ١٦٩ طبعة دار الكتب العلمية . وانظر أيضا لسان العرب ، والقاموس المحيط .

والربوض هي أيضا الواسعة من الدروع ، فهم دروع الأمة الذين يدفعون عنها ، حراب الرويبضات ، والرويبضة هو التافه الذي ينطق في أمر العامة ، وتأمل معي ماذا قال الفيرزآبادي ، وابن منظور في معجميهما عن الرابضة والرويبضة .

والرُّوَيْبِضَةُ: تَصْغِيرُ الرايضَة،وهو الرجُلُ التافِهُ ــ أي: الحقيرُ ــ يَنْطِقُ في أمْرِ العامَّةِ، وهذا تفسيرُ النَّبيِّ، صلى الله عليه وسلم، لِلْكَلِمَةِ.ورجُلٌ رُبُضٌ على الحاجاتِ، بضمتين: لا يَنْهَضُ فيها.

والرايضَةُ: ملائكَةٌ أهْبِطُوا مع آدَمَ عليه السلامُ، وبقِيَّةُ حَمَلَةِ الحُجَّةِ لا تَخْلُو الأرضُ منهم. وكصَبُورٍ: الشجرةُ العظيمةُ الواسعةُ ج: رُبُضٌ، والكثيرَةُ الأهْلِ من القُرَى، والضَّخْمَةُ من السلاسِلِ، والواسِعَةُ من الدُّرُوعِ.وفي الحديث: الرَّايضة ملائكة أهْبِطُوا مع آدم، عليه السلام، يَهْدُونَ الضُّلاَّلَ؛ (١٠)قال: ولعله من الإقامة. قال الجوهري: الرايضة بَقِيَّةُ حَمَلَةِ الحجة لا تخلو منهم الأرضُ .وفي حديث في الفتن: روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم: أنه ذكرَ من أشراط الساعة أنْ تَنْطِقَ الرُّوَيْبِضَةُ في أمْرِ العامَّةِ، قيل: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: (الرجل التافه الحقير ينطق في أمْرِ العامَّةِ)؛ قال أبو عبيد: ومما يثبت حديث الرُّوَيْبِضَةِ الحديثُ الآخرُ: (من أشراطِ الساعة أن تُرَى رعاءُ الشاءِ رُؤوسَ الناس)(١١). قال أبو منصور: الرُّبَيْضة تصغير رابضةٍ وهو الذي يرعى الغنم، وقيل: هو العاجز الذي رَبَضَ عن معَالي الأمور وقعَد عن طلبها، وزيادة الهاء للمبالغة في وصفه، جعل الرابضَة راعِيَ الرَّبيض كما يقال داهية، قال: والغالب أنه قيل للتافه من الناس رويبضة لربوضه في بيته وقلة انبعاثه في الأمور الجسيمة، قال: ومنه يقال رجل رُبُضٌ عن الحاجات والأسفار إذا كان لا يَنْهَضُ فيها.(١٢)

فإذا كان من أشراط الساعة ، ومن الملاحظ في هذه الأيام أن يتكلم الرويبضة ، فإن حفظ الأمة والدين في رابضة قائمين على الحق يقفون أمام هذه الرويبضة ويعيدوا الأمر إلى نصابه.

---

١٠ – هذا الحديث لم أقف عليه إلا في كتب اللغة انظر النهاية جـ٢ صـ١٦٩ ، وانظر أيضا لسان العرب ، والقاموس المحيط.

١١ – السنن الواردة في الفتن : لأبي عمرو الداني جـ٤ صـ ٧٨٤ نشر دار العاصمة بالرياض .

١٢ – انظر لسان العرب مادة ربض صـ ١٥٦٠ ط دار المعارف .

والمتابع لما يصدر من الكتب في هذه الأيام ، وما يطلق من صيحات يعلم جيدا صدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوردناه في المقدمة : فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم ﴾ وفي رواية أخرى : ﴿يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لاَ يُضِلُّونَكُمْ وَلاَ يَفْتِنُونَكُمْ"﴾. (١٣)

ولكن الحمد لله – كما قال الإمام أحمد بن حنبل – الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل عليهم الصلاة والسلام بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى ،ويبصرون بنور الله تعالى أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ،وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

والحمد لله فقد حفظ الله الدين وصانه من مكائد الأعداء بجهابذة نقاد أمناء ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وكذب المفترين ،وتأويل الجاهلين ،فلا يقدم أحد على تغيير، أو تبديل إلا فضحه الله وأبطل كيده ، فلولا أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ هذا الدين وأقام له حرسا شديدا وكلهم بحمايته ، لجرى عليه ما جرى على الأديان السالفة ولكن الله برحمته وعنايته بهذه الأمة يبعث لها عند اندراس السنة وظهور البدعة من يجدد لها دينها ولا يزال يغرس في دينه غرسا يستعملهم فيه علما وعملا .

٢– العلم دين :

في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما : ﴿ العلم دين و الصلاة دين فانظروا عمن تأخذون هذا العلم و كيف تصلون هذه الصلاة فإنكم تسألون يوم القيامة ﴾ . ومعنى أن (العلم دين) قال الطيبي : التعريف فيه للعهد وهو ما جاء به الرسول لتعليمه الخلق من الكتاب والسنة وهما أصول الدين (والصلاة دين فانظروا عمن تأخذون هذا العلم) قال الطيبي:المأخوذ عنه العدول الثقات المتقون (وكيف تصلون هذه

---

١٣ – حديث صحيح رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الصلوات فإنكم تسألون) أي عن العلم والصلاة (يوم القيامة) يشير به إلى أن العلم ينبغي أن لا يؤخذ إلا عمن عرفت عالميته واشتهرت ديانته فلا يتلقاه عن جاهل فيضله ولا عن فاسق فيغويه . (١٤)

وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه في كتاب حال بعض الرواة عدة أحاديث بعد ذكر هذا الحديث تؤكد هذا المعنى ، وتحض عليه ، وتدعمه وهذا بعض ما أورده :.

حدّثنا حَسَنُ بْنُ الرّبيع. حَدّثَنَا حَمّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أيّوبَ وَهِشَامٍ، عَنْ مُحَمّدٍ. وَحَدّثَنَا قُتَيْبَةُ. عَنْ هِشَامٍ. قالَ وَحَدّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمّدِ بْنِ سِيرِينَ قالَ: إنّ هَذَا العِلْمَ دِينٌ. فانْظُرُوا عَمّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ.

حدّثنا أبُو جَعْفَرٍ مُحَمّدُ بْنُ الصّبّاحِ. حَدّثَنَا إسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيّاءَ، عَنْ عَاصِمٍ الأحْوَلِ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قالَ: لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الإسْنَادِ. فَلَمّا وَقَعَتِ الفِتْنَةُ، قالوا: سَمّوا لَنَا رِجَالَكُمْ. فَيُنْظَرُ إلى أهْلِ السّنّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إلى أهْلِ البِدَعِ فَلا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ.

حدّثنا إسْحاقُ بْنُ إبْرَاهِيمَ الحَنْظَلِيّ: أخْبَرَنَا عِيسَى، وَهُوَ ابْنُ يُونُسَ. حَدّثَنَا الأوْزَاعِيّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى قالَ، لَقِيتُ طَاوُسا فَقُلْتُ: حَدّثَنِي فُلانٌ كَيْتَ وَكَيْتَ. قالَ: إنْ كَانَ صَاحِبُكَ مَلِيّا فَخُذْ عَنْهُ.

حدّثنا نَصْرُ بْنُ عَلِيّ الجَهْضَمِيّ: حَدّثَنَا الأصْمَعِيّ، عَنِ ابْنِ أبِي الزّنَادِ، عَنْ أبِيهِ قالَ: أدْرَكْتُ بِالمَدِينَةِ مِائَةً كُلّهُمْ مَأْمُونٌ. مَا يُؤْخَذُ عَنْهُمُ الحَدِيثُ. يُقَالُ: لَيْسَ مِنْ أهْلِهِ.

حدّثنا مُحَمّدُ بْنُ أبِي عُمَرَ المَكّيّ. حَدّثَنَا سُفْيَانُ. ح وَحَدّثَنِي أبُو بَكْرِ بْنُ خَلّادٍ البَاهِلِيّ. وَاللّفْظُ لَهُ. قالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، عَنْ مِسْعَرٍ. قالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ إبْرَاهِيمَ يَقُولُ: لا يُحَدّثُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم إلاّ الثّقاتُ.

وحدّثنا عُبَيْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ القَوَارِيرِيّ: حَدّثَنَا حَمّادُ بْنُ زَيْدٍ قالَ: كَانَ رَجُلٌ قَدْ لَزِمَ أيّوبَ وَسَمِعَ مِنْهُ. فَفَقَدَهُ أيّوبُ. فَقالوا: يَا أبَا بَكْرٍ إنّهُ قَدْ لَزِمَ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ. قالَ حَمّادٌ: فَبَيْنَا أنَا يَوْما مَعَ أيّوبَ وَقَدْ بَكّرْنَا إلى السّوقِ. فاسْتَقْبَلَهُ الرّجُلُ. فَسَلّمَ عَلَيْهِ أيّوبُ وَسَألَهُ. ثُمّ قالَ لَهُ أيّوبُ: بَلَغَنِي أنّكَ لَزِمْتَ ذَاكَ الرّجُلَ. قالَ حَمّادٌ: سَمّاهُ، يَعْنِي عَمْرا؟ قالَ: نَعَمْ. يَا أبَا

---

١٤ – تخريج السيوطي (رواه الديلمي في مسند الفردوس) عن ابن عمر. تحقيق الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم: ٣٨٧٧ في ضعيف الجامع.

بَكْرٍ إنّهُ يَجِيئُنَا بِأشْيَاءَ غَرَائِبَ. قالَ: يَقُولُ لَهُ أيّوبُ: إنّمَا نَفِرّ أوْ نَفْرَقُ مِنْ تِلْكَ الغَرَائِبِ.

وحدّثني حَجّاجٌ. حَدّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قالَ: سَمِعْتُ سَلاّمَ بْنَ أبِي مُطِيعٍ يَقُولُ: بَلَغَ أيّوبَ أنّي آتِي عَمْرا. فَأقْبَلَ عَلَيّ يَوْما، فَقالَ: أرَأيْتَ رَجُلا لا تَأمَنُهُ عَلَى دِينِهِ، كَيْفَ تَأمَنُهُ عَلَى الحَدِيثِ؟.

قالَ الحُلْوَانِيّ: سَمِعْتُ عَبْدَ الصّمَدِ، وَذَكَرْتُ عِنْدَهُ زِيَادَ بْنَ مَيْمُونٍ، فَنَسَبَهُ إلى الكَذِبِ.

قالَ مُسْلِمٌ: وَسَمِعْتُ عُبَيْدَ اللّهِ بْنَ عُمَرَ القَوَارِيرِيّ يَقُولُ: سَمِعْتُ حَمّادا***

إسْحَقَ الطّالِقَانِيّ يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ المُبَارَكِ يَقُولُ: لَوْ خُيّرْتُ بَيْنَ أنْ أدْخُلَ الجَنّةَ، وَبَيْنَ أنْ ألْقَى عَبْدَ اللّهِ بْنَ مُحَرّرٍ، لاخْتَرْتُ أنْ ألْقَاهُ ثُمّ أدْخُلَ الجَنّةَ. فَلَمّا رَأيْتُهُ، كَانَتْ بَعْرَةٌ أحَبّ إلَيّ مِنْهُ.

وحدّثني الفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ. حَدّثَنَا وَلِيدُ بْنُ صَالِحٍ، قالَ: قالَ عُبَيْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرٍو: قالَ زَيْدٌ، يَعْنِي ابْنَ أبِي أنَيْسَةَ: لا تَأخُذُوا عَنْ أخِي.

قالَ مسلمٌ: وَأشْبَاهُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ كَلامِ أهْلِ العِلْمِ فِي مُنْتَهَى رُوَاةِ الحَدِيثِ وَإخْبَارِهِمْ عَنْ مَعَايِبِهِمْ كَثِيرٌ. يَطُولُ الكِتَابُ بِذِكْرِهِ، عَلَى اسْتِقْصَائِهِ. وَفِيمَا ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ. لِمَنْ تَفَهّمَ وَعَقَلَ مَذْهَبَ القَوْمِ. فِيمَا قالوا مِنْ ذَلِكَ وَبَيّنُوا.

وَإنّمَا ألْزَمُوا أنْفُسَهُمُ الكَشْفَ عَنْ مَعَايِبِ رُوَاةِ الحَدِيثِ. وَنَاقِلِي الأخْبَارِ. وَأفْتَوْا بِذَلِكَ حِينَ سُئِلُوا، لِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الخَطَرِ. إذِ الأخْبَارُ فِي أمْرِ الدّينِ إنّمَا تَأتِي بِتَحْلِيلٍ، أوْ تَحْرِيمٍ، أوْ أمْرٍ، أوْ نَهْيٍ، أوْ تَرْغِيبٍ، أوْ تَرْهِيبٍ. فَإذَا كَانَ الرّاوِي لَهَا لَيْسَ بِمَعْدِنٍ لِلصّدْقِ وَالأمَانَةِ. ثُمّ اقْدَمَ عَلَى الرّوَايَةِ عَنْهُ مَنْ قَدْ عَرَفَهُ وَلَمْ يُبَيّنْ مَا فِيهِ لِغَيْرِهِ، مِمّنْ جَهِلَ مَعْرِفَتَهُ، كَانَ آثِما بِفِعْلِهِ ذَلِكَ. غَاشّا لِعَوَامّ المُسْلِمِينَ. إذْ لا يُؤْمَنُ عَلَى بَعْضِ مَنْ سَمِعَ تِلْكَ الأخْبَارَ أنْ يَسْتَعْمِلَهَا، أوْ يَسْتَعْمِلَ بَعْضَهَا. وَلَعَلّهَا أوْ أكْثَرَهَا أكَاذِيبُ. لا أصْلَ لَهَا. مَعَ أنّ الأخْبَارَ الصّحَاحَ مِنْ رِوَايَةِ الثّقاتِ. وَأهْلِ القَنَاعَةِ أكْثَرُ مِنْ أنْ يُضْطَرّ إلى نَقْلِ مَنْ لَيْسَ بِثِقَةٍ. وَلا مُقْنِعٍ.

وَلا أحْسِبُ كَثِيرا مِمّنْ يُعَرّجُ مِنَ النّاسِ عَلَى مَا وَصَفْنَا مِنْ هَذِهِ الأحَادِيثِ الضّعَافِ وَالأسَانِيدِ المَجْهُولَةِ، وَيَعْتَدّ بِرِوَايَتِهَا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِمَا فِيهَا، مِنَ التّوَهّنِ وَالضّعْفِ إلاّ أنّ الّذِي يَحْمِلُهُ عَلَى رِوَايَتِهَا، وَالاعْتِدَادِ بِهَا، إرَادَةُ التّكَثّرِ بِذَلِكَ عِنْدَ العَوَامّ، وَلأنْ يُقَالَ: مَا أكْثَرَ مَا جَمَعَ فُلانٌ مِنَ الحَدِيثِ، وَأُلِفَ مِنَ العَدَدِ.(١٥)

---

١٥ – راجع صحيح مسلم : صـ ١٤– ٢٨ بإيجاز.

وفي مقولة للإمام مالك : "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون منه، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين - وأشار إلى المسجد - فما أخذت عنهم شيئاً. وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أميناً، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن".

٣- عدول الأمة والحراب الثلاث :

وهذا هو معنى الحديث الذي رواه الترمذي في كتابه المدخل مرسلا عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿يحمل هذا العلم من كل خلف(١٦) عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين﴾. فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الغالين يحرفون ما جاء به ، والمبطلين ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه ، والجاهلين يتأولونه على غير تأويله ، وفساد الإسلام من هذه الطوائف الثلاث ، أو الحراب الثلاث التي توجه إلى صدر الأمة ونحرها .

والواجب واجب العلماء ، حراس الدين ، أو عدول الأمة كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشرف هؤلاء العدول عظيم ، وأجرهم كبير(كأنه يقول إن عدول الأمة محددة وظيفتهم ، وهي أنهم أولا قائمين على أمر الله ، ثم هم يتصدون للحراب الموجهة إلى صدر الأمة، فهم أجناد الله ، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

إذ رب سائل يسأل ويقول لم خص هؤلاء بهذه المنقبة العالية فأجيب بأنهم:-

أولا :يحمون الشريعة ومتون الروايات من تحريف الذين يغلون في الدين ، والغلو هو مجاوزة الحد فالغالين يتجاوزون في كتاب الله وفي سنة رسوله عن المعنى المراد ، فينحرفون من جهه ، ويحرّفون الحقيقة

---

١٦ -قال ابن الأثير الخلف بالتحريك والسكون كل من يجيء بعد من مضى إلا أنه بالتحريك في الخير وبالتسكين في الشر يقال خلف صدق و خلف سوء ومعناهما جميعا القرن من الناس قال والمراد في هذا الحديث المفتوح ، [انظر النهاية جـ٢صـ ٦٢]قال القعنبي سمعت رجلا يحدث مالك بن أنس بهذا الحديث فأعجبه لسان العرب ج: ٩ ص: ٨٥

من جهة أخرى، ويرونك الحلو مراً.. وقد وصف الله سابقيهم بأنهم ﴿يخادعون الله ﴾ [سورة البقرة : من الآية ٩] ولم يقل "يخادعون النبيّ" لتحميقهم، أي: كيف يخادعون النبيّ عليه السلام والنبيّ مبلّغ عن الله تعالى، فحيلتهم راجعة الى الله، والاحتيال مع الله تعالى محال، وطلب المحال حمق. ومثل هذا الحمق مما يُتعجب منه.. ثم اتبعه ﴿وما يخدعون الا انفسهم﴾لتسفيههم، أي: ليس في فعلكم نفع بل فيه ضرر، وضرره يعود على أنفسكم، فكأنكم تخادعون أنفسكم.. ثم عقبه ﴿وما يشعرون﴾ لتجهيلهم أي: ايّها الجهلاء! قد صرتم أضلّ من الحيوان، كالاحجار الجامدة لاتحسون بالفرق بين الضر والنفع.. ثم اردفه ﴿في قلوبهم مرض﴾ لترذيلهم بانفساد الجوهر، أي: ان لم يكن لكم اختيار فلا أقل من أن تعرفوا المرض مرضاً، وان سجيتكم فسدت. وان النفاق والحسد مرض في الروح من شأنه تحريف الحقيقة وتغييرها حتى تظنوا الحلو مراً والمرّ حلواً والسوداء بيضاء والأبيض أسود فلا تتبعوه.. ثم زاد ﴿فزادهم الله مرضاً﴾ لإذلالهم، أي: إن كنتم تطلبون بهذا الدواء التشفي من غيظكم وحسدكم فهذا داء لا يزيدكم الا مرضا على مرض. فأنتم كمن كَسرَ احدّ يدَه فأراد الانتقام فضرَبَه بتلك اليد المكسورة فازداد كسراً على كسر.. ثم قال ﴿ولهم عذاب أليم﴾ لتهديدهم، أي: ان تتحروا اللذة فما نفاقكم هذا الا فيه ألم شديد عاجل ينتج ألماً أشد آجلا، ليس كسائر المعاصي التي فيها نوع من اللذة السفلية العاجلة.. ثم أتمه بقول ﴿بما كانوا يكذبون﴾ لتوسيمهم بأشنع الوسم، أي: ان لم تنتبهوا ولم تنتهوا لم يبق الا ان تُشَهَّروا بين الناس بالكذب المانع للاعتماد لئلا يتعدى مرضكم.(١٧)

وثانيا : يحمون الشريعة من انتحال المبطلين والانتحال من النحلة وهي التشبه بالباطل ، والمعنى أن المبطل إذا اتخذ دليلا من الأدلة الصحيحة ليستدل به على باطله ، أو عزى إليه ما لم يكن منه ، إذا فعل ذلك هب حراس الدين ينفون عن العلم هذا الانتحال ، وينزهوه عنه ، فيحمون الدين من هذه الحربة الماكرة التي توهم الأغرار أن صاحبها على شيء وليس هو بشيء .

يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ [سورة البقرة : الآية ٤٢]قوله تعالى: "ولا

---

١٧ - الإمام الغرسي : إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز : صـ ٩٣ تحقيق / إحسان قاسم صالحي طبعة سوزلر للنشر الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

تلبسوا الحق بالباطل" اللبس: الخلط، لبست عليه الأمر ألبسه، إذا مزجت بينه بمشكله وحقه بباطله قال الله تعالى ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ [الأنعام:من الآية ٩] وفي الأمر لبسة أي ليس بواضح ومن هذا المعنى قول علي رضي الله عنه للحارث بن حوط يا حارث (إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله) وقالت الخنساء:

ترى الجليس يقول الحق تحسبه رشدا وهيهات فانظر ما به التبسا
صدق مقالته واحذر عداوته والبس عليه أمورا مثل ما لبسا

روى سعيد عن قتادة في قوله: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ [البقرة: من الآية ٤٢]، يقول: لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وقد علمتم أن دين الله – الذي لا يقبل غيره ولا يجزئ إلا به – الإسلام، وأن اليهودية والنصرانية بدعة وليست من الله.

واختلف أهل التأويل في المراد بقوله: "الحق بالباطل" فروي عن ابن عباس وغيره لا تخلطوا ما عندكم من الحق في الكتاب بالباطل وهو التغيير والتبديل. وقال أبو العالية قالت اليهود محمد مبعوث ولكن إلى غيرنا. فإقرارهم ببعثه حق وجحدهم أنه بعث إليهم باطل. وقال ابن زيد: المراد بالحق التوراة، والباطل ما بدلوا فيها من ذكر محمد عليه السلام وغيره. وقال مجاهد: لا تخلطوا اليهودية والنصرانية بالإسلام.

وفي حديث الترمذي حدثنا عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ أخبرنا حُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ الجُعْفِيّ قال سمعت حَمْزَةُ الزَّيّاتُ عن أبي المُخْتَارِ الطّائِيّ عن ابن أخي الحَارِثِ الأعْوَرِ عن الحارثِ الاعْوَرِ قالَ: مَرَرْتُ فِي المَسْجِدِ فإذا النّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأحَادِيثِ فدَخَلْتُ عَلى عَلِي، فقلت: يَا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ ألا تَرَى النّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الاحَادِيثِ؟ قالَ: وقد فعَلُوهَا؟ قلت: نَعَمْ، قالَ: أمَا إنِي قد سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ﴿ألا إنّهَا سَتَكُونُ فِتْنَة، فقلت: مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ الله؟ قالَ: كِتَابُ الله فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبّارٍ قَصَمَهُ الله، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أضَلّهُ الله، وَهُوَ حَبْلُ الله المَتِينُ، وَهُوَ الذّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الذِي لا تَزِيغُ بِهِ الأهْوَاءُ، وَلا تَلْتَبِسُ بِهِ الالسِنَةُ، وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلا يَخْلَقُ عَلى كَثْرَةِ الرّدّ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنّ إذْ سَمِعَتْهُ حَتّى قالوا {إنّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إلَى الرّشْدِ فآمَنّا بِهِ}، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إلَيْهِ هُدِيَ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ خُذْهَا إلَيْكَ يَا أعْوَرُ.

ومعنى قوله: (هو الذي لا تزيغ به الأهواء) أي لا تميل عن الحق باتباعه الأهواء، أي أن الهوى إذا وافق هذا الهدى حفظ من الردى، وقيل: معناه لا يصير به مبتدعاً وضالاً، يعني لا يميل بسببه أهل الأهواء والآراء. وقال الطيبي: أي لا يقدر أهل الأهواء على تبديله وتغييره وإمالته، وذلك إشارة إلى وقوع تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فالباء للتعدية، وقيل الرواية من الإزاغة بمعنى الإمالة والباء لتأكيد التعدية، أي لا تميله الأهواء المضلة عن نهج الاستقامة إلى الإعوجاج وعدم الإقامة، كفعل اليهود بالتوراة حين حرفوا الكلم عن مواضعه لأنه تعالى تكفل بحفظه، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. [سورة الحجر : الآية ٩][١٨]

وثالثا : يصدون عن الشريعة حربة ثالثة يحملها المؤولون لما لايحتمل التأويل ، وباب التأويل – كما يقول ابن برهان – أنفع كتب الأصول وأجلها ، ولم يزل الزالّ إلا بالتأويل الفاسد[١٩] .

فأصحاب هذا التأويل المتعسف الذين يلوون عنق النصوص لتوافق أغراضهم ومذاهبهم يقف لهم بالمرصاد عدول الأمة ، يقفون لهم بدرع سابغ من النصوص المحكمة ليردوا المتشابه إليها، ويقفون لهم أيضا بالمرصاد لبيان زيف تأويلاتهم المردودة ، ويبينون أولا مايدخله التأويل ، وما لا مدخل للتأويل فيه أصلا .

وفي الحديث الصحيح: عن ابي سعيد الخدري قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله﴾ [٢٠]

للتأويل قانون [٢١]، كما أن كل شيء في منهجنا له قانون ، من أصول هذ القانون أن يكون هذا التأويل موافقا لوضع اللغة ،أو عرف الإستعمال

---

١٨ – انظر : تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي للمباركفوري شرح الحديث المذكور رقم ٢٩٨٢

١٩ –الإمام الشوكاني : إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول صـ ١٧٦ طبعة دار الفكر – بدون تاريخ.

٢٠ –رواه احمد واسناده حسن (مجمع الزوائد ٦/٢٤٤) واورده الهيثمي ايضا في (٩/١٣٣ – ١٣٤) بسياق اطول من السابق، وقال: رواه احمد ورجاله رجال الصحيح، غير فطر بن خليفة وهو ثقة. اهـ. وهو عند الامام احمد في المسند (٣/٨٣). والحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، واقرهما محقق فضائل الصحابة (٢/٦٢٧،٦٣٧).

، وأن يقوم الدليل على أن المرد بذلك اللفظ هو المعنى الذي حمل عليه إذا كان لا يستعمل كثيرا فيه ، وإذا كان التأويل بالقياس فلا بد أن يكون هذا القياس جليا واضحا ، لا خفيا ، وقيل لا يجوز التأويل بالقياس ، والتأويل في نفسه ينقسم إلى ثلاثة أقسام : قد يكون قريبا فيترجح بأدنى مرجح ، وقد يكون بعيدا فلا يترجح إلا بمرجح قوي ، ولا يترجح بما ليس بقوي ، وقد يكون متعذرا لا يحتمله اللفظ فيكون مردودا لا مقبولا .وإذا عرفت هذا تبين لك ما هو مقبول من التأويل ، مما هو مردود .([٢٢])

ويقول الإمام أبو جعفرالطبري في كتابه [جامع البيان في تأويل آي القرآن] : (قد قلنا فيما مضى من كتابنا هذا في وجوه تأويل القرآن، وأن تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة:

أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة، التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة، مثل وقت قيام الساعة، ووقت نزول عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، والنفخ في الصور، وما أشبه ذلك.

والوجه الثاني: ما خصّ الله بعلم تأويله نبيه صلى الله عليه وسلم، دون سائر أمته، ....فلا سبيل لهم إلى علم ذلك، إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويله.

والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، لا توصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم، فإذا كان ذلك كذلك، فأحق المفسرين بإصابة الحق في تأويل القرآن ، أوضحهم حجة فيما تأوّل وفسر، مما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دون سائر أمته، من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، الثابتة عنه، إما من وجه النقل المستفيض، فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض، وإما من وجه نقل العدول الأثبات، فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض، أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته، وأوضحهم برهانا فيما ترجم وبيّن من ذلك، مما كان مدركا علمه من جهة اللسان، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة

---

٢١ – يوجد كتابان بهذا الإسم [قانون التأويل]أحدهما للإمام الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ ، والآخر للإمام أبي بكر بن العربي المتوفي سنة ٥٤٦ هـ

٢٢ – الإمام الشوكاني : إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول صـ ١٧٧ مرجع سابق .

المعروفة، كائناً من كان ذلك المتأول والمفسر، بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة.([٢٣])

٤– قائمون على أمر الله :

وهذا هو معنى ما ورد أيضا ﴿ لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون ﴾رواه البخاري ومسلم عن المغيرة ، وقيل إنه متواتر معنى.([٢٤])

ومثل هذا الحديث وقريب منه ما رواه البخاري ﴿لا تزال طائفة من أمتي قوّامة على أمر الله لا يضرها من خالفها ﴾ قال البخاري في الصحيح وهم أهل العلم (قوامة على أمر الله) أي على الدين الحق لتأمن بهم القرون وتتجلى بهم ظلم البدع والفتون (لا يضرها من خالفها) لئلا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة قال ابن عطاء: ففساد الوقت لا يكون إلا بنقص أعدادهم لا بذهاب إمدادهم ، لكن إذا فسد الوقت أخفاهم الله قال البيضاوي: أراد بالأمة أمة الإجابة وبالأمر الشريعة والدين وقيل الجهاد وبالقيام به المحافظة والمواظبة عليه والطائفة هم المجتهدون في الأحكام الشرعية والعقائد الدينية أو المرابطون في الثغور والمجاهدون لإعلاء الدين اهـ .

أخرج مسلم والحاكم وصححه عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿لا يزال هذا الدين قائما يقاتل عليه المسلمون حتى تقوم الساعة ﴾.

وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال﴾

وأخرج الترمذي وصححه وابن ماجة عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة﴾.

---

٢٣ – الإمام الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن الجزء الأول صـ

٢٤ – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن سلطان القاري ـ جـ ١ صـ ٣٠٣ بتصرف طبعة دار الكتاب الإسلامي – القاهرة بدون تاريخ .

وأخرج ابن جرير والحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي منبه الخولاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله. وفي لفظ: ﴿ لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته﴾.

وأخرج مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تاتيهم الساعة وهم على ذلك﴾.

يقول الإمام النووي في التهذيب: حمله العلماء أو جمهورهم على حملة العلم وقد دعا لهم المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بقوله : (نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها) ، وقد جعلهم عدولا ففي حديث: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين) ،وهذا إخبار منه بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه وأنه تعالى يوفق له في كل عصر خلقاً من العدول يحملونه وينقون عنه التحريف وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر وهذا من أعلام نبوته ولا يضر معه كون بعض الفساق يعرف شيئاً من العلم بأن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف منه شيئاً.

٥- ورّاث المهمة والأجر العظيم :

أما أجر هؤلاء العدول ، وراث النبوة وحملة الأمانة فيكفي فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فمما روي عن الحسن مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة ﴾رواه الدارمي وابن السني ، ومعنى الحديث كما هو واضح من الحديث (أن العلماء العاملين المخلصين لم تفتهم إلا درجة الوحي) ([٢٥])

وفي حديث آخر عن أبي سعيد : ﴿من غدا يطلب العلم صلت عليه الملائكة وبورك له في معيشته ولم ينتقص من رزقه وكان مباركا عليه﴾.

والأحاديث في فضل العلم وطلبه كثيرة جدا ، ومشهورة جدا ،ولكن استند ابن عبد البر وغيره علي هذا الحديث في أن كل من حمل العلم ولم يتكلم فيه بجرح فهو عدل ، فعدول الأمة ، أو حملة الرسالة ووراث النبوة ،هم هؤلاء العلماء الذين يروون أحاديث الشرع، وينفون

[٢٥] - المرجع السابق : صـ٣٠٤

الكذب عن النقل ،ويحمون النقل عن الاختلاف والغلط ،وينفون عن الأخبار تحريف الغالين ، وخرص المتخرصين ، وانتحال المبطلين ، وسوء تأويل الجاهلين فهم العدول على سائر الطوائف فيقبل قولهم على الناس ولا يقبل قول الناس عليهم ، والخارج عن هؤلاء وإن خفقت بنوده وكثرت جموعه وسعى حتى ضرب له الدرهم والدينار وخطب باسمه على رؤوس المنابر لا تكون أموره إلا على المغالطة ، لأنه كالخارج على الملك الذي دانت له الرعايا ونفذ حكمه في البلاد فالخارج عليه لا يزال خائفا مستوحشا يخشى من أن يقابله الملك بقتال أو يصافه بحرب ،فأهل الشبهات فرحهم فرح ساعة ليس له ثبات ، ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ [سورة الرعد : الآية ١٧]

٦- واقعنا لا يسر :

واقع المسلمين اليوم مع القرآن والسنة واقع مؤرق ، وعلاقتهم بهما يحكمها الهجر والعقوق ، إلى درجة نخشى معها أن نقول : إن علل الأمم السابقة التي حذر منها القرآن ونبه إليها الرسول صلى الله عليه وسلم تسربت إلى العقل المسلم : ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ [سورة البقرة : من الآية ٧٨]، عن ابن عباس وقتادة في قوله: ﴿ ومنهم أميون ﴾: أي غير عارفين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم لا يدرون ما فيها ،وقوله: ﴿ إلا أماني﴾ أي : تلاوة ، لايعلمون فقه الكتاب ، إنما يقتصرون على ما يتلى عليهم .

إنها الأمية العقلية التي نعيشها اليوم ، والتي تعنى ذهاب العلم على الرغم من تقدم فنون الطباعة ، ووسائل النشر ، وتقنيات التسجيل ، ولعل فيما يذكره ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية الثالثة والستين من سورة المائدة ، في الجدال الذي وقع بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه زياد بن لبيد ، مؤشرا دقيقا على الأمية العقلية التي صرنا إليها مع كتاب الله ، وسنة رسوله صلى اله عليه وسلم .

فعن الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله قال : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال : (وذاك عند ذهاب العلم) ، قلنا يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن قرأنا القرآن ونقرأه أبنائنا، وأبناؤنا يقرئون أبناءهم ؟ فقال : (ثكلتك أمك يابن لبيد ، إن كنت لأراك من أفقه رجل في المدينة ،

أوليس هذه اليهود والنصارى بأيديهم التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء؟)[٢٦]

في الآونة الأخيرة كثر المتقولون علي دين الله ، الكل يتكلم ويفتى ، في كتاب الله وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم !!!

والعجب من هؤلاء الذين يتكلمون في كتاب الله ، وفي حديث رسول الله بغير علم ، وقد قال من هو خير منهم أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأيي !!!

سبحان الله العظيم يقول الصدّيق هذا ، ثم هم يتجرأون على العلم تجرأ الذبابة على وجه الأسد !!!!!.

والمتابع لهذا الذي يكتب في هذه الأيام يجد أن الغلو والتفريط طرفان باديان في ما يكتب ويعرض عن الإسلام في هذا الزمان – إلا من رحم ربك وقليل ما هم – فبينما نجد مثلا من يرفض أي فهم جديد لآية من كتاب الله تعالى ، أو لحديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان هذا الفهم مما تؤيده اللغة ، ويقتضيه السياق ، ويتفق مع روح الإسلام ، ولا يخالف نصا ثابتا ، ولا قاعدة شرعية ، كل عيبه أنه جديد لم ينص عليه واحد من المفسرين للقرآن، أو الشراح للحديث .

نجد في مقابل هؤلاء من يفتح الباب لتأويلات بعيدة ، وتفسيرات متعسفة ، أشبه بتأويلات الباطنية الذين حرفوا الكلم عن موضعه ، وبدلوا كلام الله ، وأخرجوه عما أريد به إلى معان وضعوها ما أنزل الله بها من سلطان .

ولقد سمعنا بعض الناس وهم يتحدثون عن مصطلحات في الإسلام كالإيمان والكفر ، وكالإسلام والمعصية ، وكالنبي والرسول وغيرها من المصطلحات التي علمت دلالاتها وأحاطت الأمة بمعانيها، سمعناهم يتحدثون عنها وقد عمدوا إلى تغيير معاني هذه المصطلحات

---

٢٦ – انظر مقدمة الدكتور / عمر عبيد حسنة لمدارسته مع فضيلة الشيخ / محمد الغزالي كيف نتعامل مع القرآن صـ١٤، ١٥ بتصرف ، إصدار المعهد العالمي للفكر الاسلامي – سلسلة قضايا الفكر المعاصر (٥)طبعة دار الوفاء الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، والحديث المذكور رواه الإمام أحمد في مسنده ، ورواه ابن ماجه في سننه عن زياد بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه في كتاب الفتن ، ورواه الترمذي في سننه باب ما جاء في ذهاب العلم ، وقال :هذا حديث حسن غريب .

تغييرا يخرج بها عن دلالتها المقصودة إلى دلالة أخرى يبتغونها ، وإلى معاني يريدونها ولا يرضون بها بديلا [٢٧]

والموقف السليم هنا أن لانفتح الباب على مصراعيه لأي تفسير أو شرح كان ، فيتلاعب المتلاعبون بالنصوص ، وتفقد العبارات مدلولها ، ويقول المجترئون على الله ما لا يعلمون، دون أن يتقيدوا بأصول التفسير ، وقواعد الشرح والتأويل ، والرجوع إلى أئمة الشأن وأهل التخصص للاسترشاد بآرائهم ، والبحث عما قالوه على سبيل الرواية أو الدراية فقد يوجد في المسألة نص محكم ، أو إجماع قاطع ، فلا يجوز أن يهملا من أجل رأي زيد من الناس أو عمرو .

وليس معنى هذا أن نرفض كل جديد من التفسير أو الشرح ، كلا فليس ثمة مانع من قبول الجديد إذا كان المنهج سليما ، والقول على مقتضى القواعد التي أصلها أهل الذكر وأصحاب الشأن ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ [سورة فاطر : من الآية ١٤]

وكم من تفسيرات عصرية لبعض آيات القرآن أو أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، لاقت قبولا من أهل الذكر من المسلمين ، ولم ينكر أحد عليها ، برغم جدتها وطرافتها .

وكذلك بالنسبة للسنة النبوية ووثاقتها فنجد المتطاولين المغرورين الذين يرفضون أحاديث الآحاد،لأنها لا تفيد إلا الظن في زعمهم ،والظن لا يغنى من الحق شيئا، بل بعضهم رد الأحاديث المشهورة المستفيضة ، لمجرد استبعادها في نظره ، وبعضهم يرفضها لأنه فسرها كما يريد هو ثم رفضها بناء على تفسيره !!! وبعضهم رفض السنن القولية لا الفعلية ، وبعضهم رفضها بدعوى الاكتفاء بالقرآن الذي نزل تبيانا لكل شيء فليس في حاجة إلى شيء غيره !!!

وفي مقابل هؤلاء نجد آخرين يأخذون بكل ما جاء في كتب الحديث من صحيح ومعلول، ومن ينكر ظنية أحاديث الآحاد على الإطلاق، ويرفعها إلى مرتبة القطعية ، ليترتب على ذلك أن من أنكر حديثا واحدا لاعتبار عنده فقد مرق من الإسلام ، ومن ينكر على كبار الأئمة من الفقهاء ، إذا لم يعملوا بحديث معين لمعارض شرعي قوي عندهم ، جعلهم يردونه أو يتوقفون فيه ، أو يؤلونه ،فهو لهذا يرميهم ويرمى من اتبعهم بمخالفة السنة والإعراض عنها عمدا .

---

٢٧ –المرأة والولاية : أ .د / طه الدسوقي حبيش صـ١٩ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

والحق أن هذا وذاك من الإفراط والتفريط في دين الله – عز وجل – فلا استغناء لمسلم عن السنة بحال ، كيف وهي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن الكريم ؟ ولا يمكن أن يفهم القرآن أو يعرف الإسلام بغير السنة ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [سورة النحل : من الآية٤٤]

ولولا السنة ما عرفنا حقيقة ما أمر الله تعالى به في القرآن من أركان الإسلام : الصلاة والزكاة والصيام والحج ، فالرسول هو الذي بينها بقوله وفعله وتقريره ،وكم من مجمل في القرآن فصلته السنة ، وكم من عام خصصته ، وكم من مطلق قيدته ، وكل هذا من البيان الذي وكل الله به رسوله ، ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من أولئك الذين يردون سنته بزعم الاكتفاء بالقرآن قائلا : ﴿ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ﴾ (٢٨).

وقد ورد عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه أنه ذكر الشفاعة فقال رجل من القوم : يا أبا نجيد إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن فغضب عمران ، وقال للرجل: قرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعا ، ووجدت المغرب ثلاثا ، والغداة ركعتين ، والظهر أربعا ، والعصر أربعا ؟ قال : لا ، قال : فعن من أخذتم ذلك ؟ ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوجدتم فيه من كل أربعين شاة شاة، وفي كل كذا بعير كذا ، وفي كل كذا درهم كذا ؟ قال : لا ، قال : فعن من أخذتم ذ لك ؟ ألستم عنا أخذتموه ،وأخذناه عن النبي صلى الله عليه وسلم .....الخ)(٢٩)

فلا بد من الأخذ من الحديث ضرورة ،والقول بأن أحاديث الآحاد لا تفيد إلا الظن ، والظن لايغني من الحق شيئا ، ليس مسلما على إطلاقه فإن الظن المرفوض إنما هو في باب تأسيس العقائد ، فإنها لا تبنى إلا على اليقين ، أما في الأحكام العملية فيكفي فيها الظن الراجح ، إذ هو الميسور للبشر ، وإلا لتعطلت مصالح الناس .

---

٢٨ –رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٤ صـ ١٣٠، ١٣١ ، ورواه ابن حبان في صحيحه :المقدمة – باب ذكر الخبر المصرح بأن سنن المصطفى كلها من عند الله لا من تلقاء نفسه جـ ١صـ١٧٣ ولفظه (ألا إني أوتيت الكتاب ومعه ما يعدله) ورواه أبو داود في مراسيله عن مكحول بلفظ (أتاني القرآن ومن الحكمة مثليه)

٢٩ – رواه البيهقي في المدخل من طريق شبيب ابن أبي فضالة ، وذكره الخطيب في الكفاية ، وأبو داود في الزكاة – باب ما تجب فيه الزكاة .

وذكر الإمام الشاطبي أن الظن المردود هو الذي لا يستند إلى أصل قطعي فأما ما استند إلى أصل قطعي فلا يدخل في هذا النوع من الظن (٣٠)

---

٣٠ – من مقال للدكتور / يوسف القرضاوي بعنوان [الصحوة الإسلامية ومنهج التيسير والتبشير مجلة الرسالة العدد الثالث ربيع الأول ١٤٢٣هـ مايو ٢٠٠٢م صـ٥،٦

المبحث الثاني
الساعة وأشراطها

١- معنى الساعة :

الساعة كلمة يعبر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود ، وتسمى ساعة زمانية ، ومنه قوله تعالى : ﴿لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ﴾ [الأعراف : ٣٣] وفي العرف : على جزء من أربعة وعشرين جزءا من يوم وليلة اللذين هم أصل الأزمنة ،وهي تنقسم إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية ، وقد صار هذا التقسيم – وهو تقسيم فلكي – عرفا عاما في جميع البلاد الحضرية يضبط بآلة تسمى الساعة ، وتقول العرب افعل كذا الساعة ، وأنا الساعة مشغول ، فالساعة هي جزء من أجزاء الليل والنهار ، جمعها ساعات وساع ، وسميت القيامة ساعة إما لقربها فإن كل ما هو آت قريب ، أو لأنها تأتي بغتة في ساعة ، وقيل غير ذلك .([٣١])

فالمراد بالساعة شرعا ذلك الجزء من الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، وهو وقت خاطف بالغ السرعة كما قال تعالى : ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير ﴾ [سورة النحل : من الآية ٧٧]

والساعة بالمعني الشرعي تطلق على ثلاثة معان :

أ. الساعة الصغرى : وهي موت الإنسان ، فمن مات قامت قيامته ، لدخوله في عالم الآخرة.

ب. والساعة الوسطى : وهي موت أهل القرن الواحد ، ويؤيد ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الساعة : متى الساعة ؟ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحدث إنسان منهم ، فقال: (إن يعش هذا لم يدركه الهرم ، قامت عليكم ساعتكم) ([٣٢]) أي موتهم والمراد ساعة المخاطبين .

---

[٣١] – الإذاعة لماكان ويكون بين يدي الساعة : السيد محمد صديق حسن –صـ١٣ طبعة دار المدني –جدة ١٤٠٦ هـ–١٩٨٦م

[٣٢] – صحيح البخاري : كتاب الرقاق –باب سكرات الموت ، صحيح مسلم :كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب قرب الساعة

ج . والساعة الكبرى : وهي بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء . وإذا أطلقت الساعة في القرآن فالمراد بها القيامة الكبرى .(٣٣)

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى تعقيبا على حديث السيدة عائشة سالف الذكر وأمثاله : وهذه الروايات تدل على تعدد هذا السؤال ، وهذا الجواب ، وليس المراد بذلك تحديد وقت الساعة العظمى إلى وقت هرم ذاك المشار إليه ، وإنما المراد ساعتهم ، وهو انقراض قرنهم وعصرهم قصاراه أن يتناهى في مدة عمر ذلك الغلام .ويؤيد ذلك التقييد في رواية عائشة رضي الله عنها قامت عليكم ساعتكم ، وذلك أن من مات فقد دخل في حكم القيامة ، فعالم البرزخ قريب من عالم يوم القيامة(٣٤)

٢- حديث القرآن عن الساعة :

وقد ورد لفظ الساعة في القرآن بهذا المعنى (٤٠) مرة ، كما ورد الحديث عنها بألفاظ أخرى :

فورد لفظ القيامة (٧٠) مرة ، وورد لفظ البعث (٣٠) مرة تقريبا ، وورد لفظ الآخرة في القرآن بهذا المعنى (١١٢) مرة ، وهو أكثر الألفاظ دورانا في هذا الموضوع ، لأنه أوفاها جميعا أما بقية الألفاظ فكل جزء منها يمثل جزءا أو مشهدا من البيئة الكلية للآخرة (٣٥).

والملاحظ لآيات القرآن الكريم يجد أن القرآن قد تحدث عن هذا الموضوع حديثا طويلا ، وفصلها تفصيلا شاملا ، وتناولها من كل أبعادها وأقطارها ، وأكثر إكثارا بالغا في مناقشة الكفار عنها ، وإقامة الأدلة عليها ، وإبطال شبهاتهم الفاسدة في شأنها .

وقد ساق القرآن ضروبا متنوعة من الأساليب البيانية الراقية كي يؤكد وقوع الساعة في نفوس العباد ، ﴿ يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ [سورة الرعد : من الآية٢] ، ففي بعض الآيات يكون الحديث عنها خبرا مجردا ﴿ الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ﴾ [سورة الروم : الآية ١١] ، ومرة يؤكد وقوعها بإن كقوله : ﴿إن الساعة

---

٣٣ -أشراط الساعة : يوسف عبد الله بن يوسف الوابل -طبعة دار ابن الجوزي التاسعة ١٤١٨هـ -١٩٩٧م صـ٧٤، ٧٥

٣٤ -البداية والنهاية : الإمام ابن كثير المجلد الثامن صـ١٤٣، ١٤٤ طبعة دار الغد العربي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

٣٥ -المدخل إلى التفسير الموضوعي : د/ عبد الستار فتح الله سعيد - صـ٢٣٦-٢٤٠بإيجاز وتصرف طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة .

آتية ﴾ [سورة طه : من الآية١٥] ،ومرة يؤكد بإن واللام ﴿ وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ﴾ [سورة الحجر : من الآية ٨٥] ، وفي بعض المواضع ينفي الريب والشك عن وقوعها ﴿ إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ [سورة غافر : الآية ٥٩] ، وفي بعض الآيات يقسم الحق سبحانه على أنها آتية واقعة ، مرة بنفسه ، ومرة بمخلوقاته العظيمة ، فمن إقسامه بنفسه ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ﴾ [سورة النساء : من الآية ٨٧] ، ومن إقسامه بالعظيم من مخلوقاته قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [سورة الذاريات : الآيات ١-٦]

وقوله تعالى : ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾[سورة الطور : الآيات ١-٨] ،ومن تتبع طريقة القرآن في تأكيد الإخبار بها تحصل عنده أنواع كثيرة .(٣٦)

ولقد اعتبرها القرآن الأصل الثاني من أصول الدين بعد الإيمان بالله تعالى كما قال تعالى: ﴿ والذين يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴾ [سورة البقرة: الآية ٤]، وقال تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾ [سورة البقرة: من الآية ١٧٧] ، وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٤] ،وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرون ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٦٤] وقال تعالى: ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ [البقرة ٢٨١] وقال تعالى : ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد﴾ [سورة آل عمران:

---

٣٦ - اليوم الآخر [القيامة الصغرى] : د/ عمر سليمان الأشقر - صـ ١١٣، ١١٤ الطبعة الثالثة عشرة - طبعة دار النفائس -الأردن ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

٩٧] وقال تعالى : ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ [سورة آل عمران: ٢٥]وقال تعالى: ﴿والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ [النساء ٣٨ ٣٩ الآيات] إلى آخر الآيات الكثيرة التي تتحدث عن هذا الركن الركين من أركان الإيمان ، ويرجع ذلك إلى أن هذا الأصل شديد الإيغال في طيات الغيب، ولهذا كان أكثر الأصول إنكارا واستبعادا من الكفار ، وبالتالي أكثر الأصول جميعا تناولا في القرآن .

والنظرة الأولى لأسماء السور القرآنية تعطينا دلالة هذا الاهتمام القرآني البالغ بالآخرة بداية من قيام الساعة ، مرورا بأهوال القيامة ، وبكل مايحدث في الآخرة :

فتارة تسمى السور باسم مباشر من أسمائها مثل سور : (القيامة – الواقعة – الحاقة – الغاشية – القارعة – النبأ العظيم).

وتارة تسمى السور بشيء من المظاهر الكونية التي تمهد لها مثل سور : (الدخان – التكوير – الانفطار – الانشقاق – الزلزلة) .

وتارة تسمى باسم ما يقع فيها مثل سور : (الأعراف – الزمر – الجاثية – الحشر – التغابن – المعارج) .

فهذه أسماء (سبع عشرة) سورة تتعلق بالآخرة ، ولم يقع مثل هذا قط لأي أصل من أصول الإيمان في القرآن الكريم .

فإذا تجاوزنا هذه الملاحظة الشكلية – مع أهمية دلالتها – فإننا نجد من الناحية الموضوعية معظم سور القرآن الكريم تشتمل على ذكر الآخرة ، أو ما يتعلق بها إجمالا أو تفصيلا ، مرة واحدة في السور القصيرة ،أو مرات كثيرة متعددة في السور الأخرى ، كالمثاني والمئين ، فضلا عن السبع الطوال .

ويؤكد القرآن في حديثه عن الساعة على عدة أمور منها:

أولا :أنها حقيقة لا ريب فيها : فالقرآن الكريم يتحدث عن الساعة حديث الجزم القاطع ، واليقين البالغ باعتبارها حقيقة مقررة في علم الله وآتية لا ريب فيها قال تعالى :﴿ إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ [سورة غافر :الآية ٥٩]، ويقول تعالى : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ [أول سورة النحل].

ثانيا : أنها غاية الوجود وحكمته ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾ [سورة الدخان : الآيتان ٣٨: ٤٠]وقال تعالى : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية﴾[سورةالحجر :من الآية ٨٥] ويلاحظ أن هذه الآية الكريمة ربطت بين (الخلق ، والحق ، وإتيان الساعة) إذ لو تجرد الخلق عنها لضاع منه وجه الحق والحكمة بهذه النهاية الجائرة التي يستوي فيها المحسن والمسيء .

ثالثا : أنها ضرورة لضبط الحياة الدنيا : فالإيمان بقيام الساعة ،وأن هناك آخرة هو الحافز والرادع الذي لا بديل له بعد التوحيد لضبط وإصلاح الحياة الدنيا ، ولولا أن الله قررها ، لتحولت الحياة الدنيا إلى غابة وحوش ، وفوضى صراع ، لا سبيل فيه إلا انتحار المجتمعات ، واندحار الحضارات، وانهيار الحقائق التي تقوم عليها الحياة وتحولها إلى سعار مدمر ، وشجار رهيب .([٣٧]) ولذلك يربط القرآن كثيرا بين مظاهر الخلل والفساد وبين انكار الآخرة ، أو إهمال شأنها قال تعالى : ﴿ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ [سورةالنحل : الآية٢٢]

٢- أشراط الساعة :

أولا : معنى الأشراط وأقسامها :

الشرط بالتحريك هو العلامة ، جمعه أشراط ، وأشراط الشيء أوائله ، ومنه الاشتراط الذي يشترطه الناس بعضهم على بعض فالشرط علامة على المشروط .([٣٨])

فلكل كائن حي ، أو نام علامات تظهر له عند دنو أجله ، فالإنسان يشيب ويهرم ، ويمرض ويضعف ، ويكون ذلك علامة دنو أجله ، وقرب ساعة موته ، والكون أيضا له حتما علامات تدل على قرب فنائه ، ووقت دماره وخرابه ، وقد جاء الوحي الإلهي بذكر تلك العلامات

---

[٣٧] –المرجع السابق :صـ ٢٤٠ – ٢٤٣ بإيجاز وتصرف .

[٣٨] – انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر جـ٢ صـ ٤٦٠ طبعة دار الفكر – بيروت ولسان العرب جـ ٧ صـ ٣٢٩، ٣٣٠ لأبي الفضل ابن منظور طبعة دار صادر بيروت .

وبيانها، ونبهت الرسل عليها ، ولفتت الأنظار إليها : ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى في سورة محمد : ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ [سورة محمد الآية : ١٨]، وقد جاء الوحي بذكر عدة علامات من علامات الساعة فنحن نؤمن ونصدق من غير شك بكل ما قد صح سنده وصرح لفظه عن خير الورى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ،وهي علامات لمجئ الساعة وقربها ودنوها وأشراط لها اي لاقترابها ، وقد اشار القرآن الى قربها ودنوها وكثير من علاماتها قال الله تعالى : ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ [أول سورة النحل]، وقال تعالى : ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ [أول سورة الأنبياء]

وقد ذكر الله تعالى ان بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم من أشراطها ، كما قال عز وجل: ﴿ هذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفه﴾ [سورة النجم: الآيتان ٥٦ ،٥٧] وقال تعالى: ﴿ فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم أذا جاءتهم ذكراهم ﴾ [سورة محمد: الآية ٨] وقال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [أول سورة القمر]، وانشقاق القمر من معجزات نبينا بمكة من قبل ان يهاجر الي المدينة وذكر تعالي من كبار اشراطها الدخان ، ونزول عيسى لقتل الدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج ،وطلوع الشمس من مغربها ،وخروج دابة الارض ،وغيرها ،كما قال تعالى : ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ [سورة الدخان: الآية ١٠] ، وقال تعالي في شأن عيسى: ﴿ بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ [سورة النساء: الآيتان ١٥٨، ١٥٩] ،وقال تعالي في شأن يأجوج ومأجوج : ﴿ ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾

[سورة الكهف : الآيتان ٩٢- ٩٩] وقال تعالى : ﴿حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق﴾ [سورة الانبياء : الآية ٩٦ ، وجزء من الآية٩٧]

وقال تعالى: ﴿ هل ينظرون إلا أن تاتيهم الملائكة أوياتي ربك أو ياتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ [سورة الأنعام : الآية١٥٨] وقال تعالى : ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ [سورة النمل : الآية ٨٢]، وأما الأحاديث في أشراط الساعة فكثيرة متواترة وقد تقرر في حديث جبريل علي اختلاف ألفاظه وتباين طرقه ذكره صلى الله عليه وسلم من أماراتها أن تلد الامة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، إلى غير لك من العلامات الكثيرة التي وردت في كتب الصحاح .

وتنقسم أشراط الساعة إلى قسمين :

١- أشراط صغرى : وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة ، وتكون من نوع المعتاد ، مثل قبض العلم والتطاول في البنيان .

٢- أشراط كبرى : وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة ، وتكون غير معتادة الوقوع كظهور الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام

وقسم بعض العلماء أشراط الساعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام :

١-قسم ظهر وانقضى .

٢-قسم ظهر ولا يزال يتتابع ويكثر .

٣-قسم لم يظهر إلى الآن..

أما القسمان الأولان فهما من أشراط الساعة الصغرى ، وأما القسم الثالث فيشترك فيه الأشراط الكبرى ، وبعض الأشراط الصغرى .

ونحن هنا سنتحدث عن بعض الأشراط الصغرى ، كما سنتحدث حديثا موجزا عن الأشراط الكبرى أظن أنه يكفي ليتصور الإنسان هذا الموضوع بحجمه الحقيقي كما أراده الله عز وجل .

أولا :أشراط الساعة الصغرى: (٣٩)

---

٣٩ - تحدثت كتب كثيرة عن أشراط الساعة نذكر منها :

١ - كتب الحديث التسعة .

٢- أهوال القيامة وعلاماتها الكبرى : السفاريني .

وردت أحاديث كثيرة صحيحة ، وصريحة تدل على أن هناك أحداثا ستقع ،وأفعالا ستظهر ، وظهورها دليل على قرب الساعة ، ودنوها ، ومن بين هذه العلامات كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١. بعثة النبي صلى الله عليه وسلم : ففي الحديث الصحيح عن سهل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بعثت أنا والساعة كهاتين) ويشير بإصبعيه فيمدهما([٤٠])

٢. موت النبي صلى الله عليه وسلم : ففي الحديث الصحيح عن عوف بن مالك رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اعدد ستا بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص ([٤١])الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا).([٤٢])

٣. فتح بيت المقدس : للحديث السابق ، وقد تم فعلا فتح بيت المقدس سنة ست عشرة من الهجرة ،فقد ذهب سيدنا عمر رضي الله عنه بنفسه ، وصالح أهلها وطهرها من اليهود، نسأل الله أن يعيد للمسلمين عهدهم العمري ، وأن يحرر مسجدنا الأقصى الأسير من أيدى اليهود الغاصبين .

٣- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة : القنوجي .
٤- البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير .
٥- الإشاعة لأشراط الساعة : للبرزنجي .
٦-أشراط الساعة : يوسف بن عبد الله الوابل – وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى –
٧- معظم كتب العقيدة الإسلامية .
وقد حاولت الاستفادة من هذا كله وغيره جمعا وتلخيصا ليخرج بصورة موجزة تناسب البحث وطبيعته .

٤٠ -صحيح البخاري : كتاب الرقاق – باب بعثت أن والساعة كهاتين .
٤١ - (قعاص) بالضم ويقال فيه : عقاس بضم العين وتخفيف القاف ,هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة [انظر النهاية في غريب الحديث والأثر جـ ٤صـ ٨٨]
٤٢ - رواه البخاري في صحيحه : كتاب الجزية والموادعة _ بالب ما يحذر من الغدر.

٤. طاعون عمواس : وعمواس بلدة في فلسطين ودليل هذه العلامة الحديث السابق أيضا ويقول ابن حجر : إن هذه الآية ظهرت في خلافة عمر فقد وقع طاعون عظيم في خلافة سيدنا عمر بعد فتح بيت المقدس ، وبلغ عدد من مات فيه خمسة وعشرون ألفا من المسلمين ، ومات فيه من المشهورين سيدنا أبو عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة رضي الله عنه ([٤٣]).

٥. استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة : للحديث السابق أيضا ، ولأحاديث أخرى منها : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض ، حتى يهم رب المال من يقبل منه صدقته ويدعى إليه الرجل فيقول لا إرب لي فيه) ([٤٤]) أي لا حاجة لي فيه .

٦. ظهور الفتن : والفتن جمع فتنة وهي الابتلاء والامتحان والاختبار ثم كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه ، ثم أطلقت على كل مكروه .([٤٥]) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من أشراط الساعة ظهور الفتن العظيمة ، التي يلتبس فيها الحق بالباطل ، فتزلزل الإيمان ، حتى يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ، كلما ظهرت فتنة قال المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تتكشف ويظهر غيرها ، فيقول : هذه ، هذه ولا تزال الفتن تظهر في الناس إلى قيام الساعة ، ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، فكسروا قسيكم ، وقطعوا أوتاركم ، واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دخل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم)([٤٦]) . وأحاديث الفتن كثيرة جدا ، فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم ، أمته من الفتن وأمرهم بالتعوذ منها ، وأخبر

---

٤٣ – انظر فتح الباري جـ٦ صـ٢٧٨ ، والبداية والنهاية جـ٧ صـ ٩٠
٤٤ – رواه البخاري : كتاب الفتن ، ورواه مسلم : كتاب الزكاة – باب كل نوع من المعروف صدقة .
٤٥ – لسان العرب : جـ١٣ ٣١٧ –٣٢١ .
٤٦ – رواه الإمام أحمد ,ابو داود وابن ماجه ، والحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح الإسناد .

أن آخر هذه الأمة سيصيبها بلاء وفتن عظيمة ، وليس هناك عاصم منها إلا الإيمان بالله واليوم الآخر ، ولزوم جماعة المسلمين .

٧. ظهور مدّعي النبوة : ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله)([٤٧]).

٨. انتشار الأمن : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتى يسير الراكب بين العراق ومكة ، لا يخاف إلا ضلال الطريق)([٤٨]).

٩. ظهور نار الحجاز : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى ([٤٩]).)([٥٠])، وهذه الآية العظيمة التي أخبر الصادق المصدوق بوقوعها في مقبل الزمان وقعت على الصورة التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان خروجها في سنة (٦٥٤) للهجرة النبوية ، وقد تحدث العلامة المؤرخ ابن كثير في أحداث سنة (٦٥٤) عن هذه النار فقال : فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى، كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه .

١٠. قتال الترك :عن أبي هُرَيْرَةَ أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قالَ: "لاَ تَقُومُ السّاعَةُ حَتّىَ تُقاتِلُوا قَوْماً كَأنّ وُجُوهَهُمُ المَجَانّ المُطْرَقَةُ. وَلاَ تَقُومُ السّاعَةُ حَتّىَ تُقاتِلُوا قَوْماً نِعَالُهُمُ الشّعَرُ". وفي رواية أنّ أبَا هُرَيْرَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَقُومُ السّاعَةُ حَتّىَ تُقاتِلُكُمْ أُمّةً يَنْتَعِلُونَ الشّعَرَ. وُجُوهُهُمْ مِثْلُ المَجَانّ المُطْرَقَةِ".([٥١])

---

٤٧ – صحيح البخاري : كتاب المناقب – باب علامات النبوة ، صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة .

٤٨ – رواه الإمام أحمد وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد جـ٧ صـ٣٣١]

٤٩ – بصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام ، ويقال لها حوران .

٥٠ – صحيح البخاري كتاب الفتن باب خروج النار ، وصحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة .

٥١ – صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة –

١١. قتال العجم عن أبي هُرَيْرَةَ أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قالَ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان ، حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، ونعالهم الشعر)([٥٢]).ومعنى خوز وكرمان بلدان من بلاد الأهواز ، وقيل الخوز صنف من الأعاجم ، وكرمان بلد يحدها من الغرب بلاد فارس ، ومن الشمال خراسان ، ومن الجنوب بحر فارس .([٥٣])

١٢. ضياع الأمانة . عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) قال : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : (إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)([٥٤])

١٣. قبض العلم وظهور الجهل ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل)([٥٥])

١٤. كثرة الشرط وأعوان الظلمة : فقد روى الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال – أو قال : يخرج رجال من هذه الأمة في آخر الزمان – معهم سياط كأنها أذناب البقر ، يغدون في سخط الله ، ويروحون في غضبه)([٥٦]) وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة –رضى الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس .....)([٥٧]).

---

٥٢ – صحيح البخاري : كتاب المناقب – باب علامات النبوة (٦/ ٦٠٤ مع الفتح)

٥٣ –معجم البلدان : ج٤صـ٥٤

٥٤ –صحيح البخاري : كتاب الرقاق – باب رفع الأمانة .

٥٥ – صحيح البخاري : كتاب العلم – باب رفع العلم وظهور الجهل ، وصحيح مسلم : كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان .

٥٦ – مسند الإمام أحمد : (٥/٢٥٠) وهو حديث صحيح .

٥٧ – صحيح مسلم : باب جهنم أعاذنا الله منها (١٧/ ١٩٠) مع شرح النووي .

١٥. انتشار الزنا : ففي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أشراط الساعة ..... (فذكر منها) ويظهر الزنا) ([٥٨])

١٦. انتشار الربا :ومن علامات الساعة ظهور الربا وانتشاره بين الناس ، وعدم المبالاة بأكل الحرام ، ففي الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (بين يدي الساعة يظهر الربا)([٥٩])

١٧. كثرة شرب الخمر واستحلالها : وقد ورد هذا فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أشراط الساعة .... (وذكر منها) ويشرب الخمر)([٦٠])

١٨. زخرفة المساجد والتباهي بها فقد روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه : قال : (لا تقوم الساعة حتى يتباهي الناس في المساجد)([٦١])
قال البخاري : قال أنس : يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلا فالتباهي بها : العناية بزخرفتها ([٦٢]).

١٩. التطاول في البنيان : وهذا من العلامات التي ظهرت قريبا من عصر النبوة وانتشرت بعد ذلك حتى تباهى الناس في العمران وزخرفة البيوت ، حتى أن أهل البادية وأشباههم بسطت لهم الدنيا ،وأخذوا في بناء الأبنية ذوات الطوابق المتعددة وتنافسوا في ذلك ، وكل هذا وقع كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عندما سأله عن وقت قيام الساعة : (ولكن

---

[٥٨] – صحيح البخاري : كتاب العلم – باب رفع العلم وظهور الجهل ج ١ صـ ١٧٨ ، وصحيح مسلم : كتاب العلم – باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ج ١٦ صـ ٢٢١

[٥٩] – رواه الطبراني كما في الترغيب والترهيب للمنذري ج٣صـ٩ وقال رواته رواة الصحيح .

[٦٠] – صحيح مسلم : كتاب العلم – باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ج١٦ صـ ٢٢١

[٦١] – مسند الإمام أحمد جـ٣ صـ ١٣٤، قال الألباني صحيح انظر صحيح الجامع ج٦ /١٧٤

[٦٢] – صحيح البخاري : كتاب الصلاة – باب بنيان المساجد جـ١ صـ٥٣٩

أحدثك عن أشراطها ..... فذكر منها وإذا تطاول رعاء البهائم في البنيان فذاك من أشراطها)([٦٣]) ، وفي رواية لمسلم : (أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)([٦٤]).

٢٠. ولادة الأمة ربتها : وقد ورد هذا في حديث جبريل الطويل : (وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها ...) متفق عليه([٦٥])

٢١. كثرة القتل : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاتقوم الساعة حتى يكثر الهرج) قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال : (القتل، القتل)([٦٦])

٢٢. تقارب الزمان : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السعفة)([٦٧])

٢٣. تقارب الأسواق : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ، ويكثر الكذب ، وتتقارب الأسواق)([٦٨])

٢٤. ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار :روى الامام أحمد والحاكم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى

---

[٦٣] – صحيح البخاري : كتاب الإيمان – باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، جا صـ١١٤ ، وصحيح مسلم كتاب الإيمان : باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج ١ صـ ١٦١-١٦٤

[٦٤] –صحيح مسلم كتاب الإيمان : باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج ١ صـ ١٥٨

[٦٥] – صحيح البخاري : كتاب الإيمان – باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، جا صـ١١٤ ، وصحيح مسلم كتاب الإيمان : باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج ١ صـ ١٥٨

[٦٦] –رواه مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة .

[٦٧] – مسند أحمد :ج٢- ٥٣٧-٥٣٨ وقال ابن كثي في الفتن والملاحم اسناده على شرط مسلم انظر ج١ صـ ١٨١

[٦٨] – مسند أحمد : ج٢-٥١٩ ، وقال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن سمعان وهو ثقة . انظر مجمع الزوائد ج٧صـ ٣٢٧

الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش،والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة)([٦٩]).

٢٥. كثرة الشح : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح)([٧٠]) وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال: (يتقارب الزمان ويتناقص العمل ويلقى الشح). وعن معاوية رضي الله عنه ؛ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يزداد الأمر الا شدة، ولا يزداد الناس الا شحا)([٧١]).

٢٦. كثرة التجارة :فقد روى الإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بين يدي الساعة تسليم الخاصة ، وفشوّ التجارة ، حتى تشارك المرأة زوجها في التجارة)([٧٢])

٢٧. كثرة الزلازل : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل) ([٧٣])

٢٨. ظهور الخسف والمسخ والقذف :فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف) قالت : قلت : يارسول الله ! أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا ظهر الخبث)([٧٤])

٢٩. ذهاب الصالحين ،وقلة الأخيار ، وكثرة الأشرار : حتى لا يبقى إلا شرار الناس ، وهم الذين تقوم عليهم الساعة ، ففي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يأتي على الناس زمان يغربلون فيه غربلة ، يبقى منهم حثالة قد

---

٦٩ – مسند أحمد : جـ١٠ صـ ٢٦ –٣٠ شرح الشيخ أحمد شاكر وقال : إسناده صحيح ، وذكر رواية الحاكم وأطال الكلام عليها .

٧٠ – صحيح البخاري : كتاب الفتن _ باب ظهور الفتن جـ ١٣ صـ ١٣

٧١ – رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح : انظر مجمع الزوائد جـ ٨ صـ ١٤

٧٢ – مسند الإمام أحمد : جـ٥ –٣٣٣ بشرح الشيخ أحمد شاكر ، وقال : إسناده صحيح .

٧٣ – صحيح البخاري : كتاب الفتن – جـ ١٣ ص ٨١–٨٢

٧٤ – سنن الترمذي : كتاب الفتن –باب ما جاء في الخسف ج٦ –٤١٨ قال الألباني : صحيح انظر : صحيح الجامع الصغير (٣٥٨/٦)(ح ٨٠١٢).

مرجت عهودهم وأمانتهم ، واختلفوا ، فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه)([٧٥])

٣٠. ارتفاع الأسافل : أي ارتفاع أسافل الناس عن خيارهم ، واستئثارهم بالأمور دونهم ، فيكون أمر الناس بيد سفهائهم ، وأراذلهم ومن لا خير فيهم ، وهذا من انعكاس الحقائق، وتغير الأحوال وفي الصحيح: (إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)([٧٦])

٣١. أن تكون التحية للمعرفة : أي أن الرجل لا يلقي السلام إلا على من يعرفه ، ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة)([٧٧]).

٣٢. صدق رؤيا المؤمن :ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا اقترب الزمان ، لم تكد رؤيا المسلم تكذب ، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة .) هذا لفظ مسلم ، ولفظ البخاري : (لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ..... وما كان من النبوة فإنه لايكذب)([٧٨])

٣٣. كثرة الكذب وعدم التثبت في نقل الأخبار : ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : (سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم) وفي رواية : (يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم)([٧٩])

٣٤. كثرة شهادة الزور وكتمان شهادة الحق : وقد جاء في حديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم : (إن بين يدي الساعة ..... شهادة الزور ، وكتمان شهادة الحق)([٨٠])

---

٧٥ – مسند الإمام أحمد : جـ ١٢– ١٢ شرح أحمد شاكر وقال إسناده صحيح .

٧٦ – صحيح البخاري : كتاب الرقاق – باب رفع الأمانة (١١/ ٣٣٢)

٧٧ – مسند الإمام أحمد جـ٥ صـ ٣٢٦ قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

٧٨ –صحيح البخاري : كتاب التعبير – باب القيد في المنام جـ١٢ صـ٤٠٤ ، وصحيح مسلم:كتاب الرؤيا جـ١٥ صـ٢٠

٧٩ – صحيح الإمام مسلم : المقدمة – باب النهي عن رواية الضعفاء جـ ١صـ ٧٨ ، ٧٩ مع شرح النووي .

٨٠ – مسند الامام أحمد :ج٥ صـ٣٣٣ شرح الشيخ أحمد شاكر وقال إسناده صحيح

٣٥. كثرة النساء وقلة الرجال : عن أنس رضي الله عنه قال : لأحدثنكم حديثا لا يحدثكم أحد بعدي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين أمرأة القيم الواحد)([٨١])

٣٦. وقوع التناكر بين الناس : عن حذيفة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة ؟ فقال : (علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ولكن أخبركم بمشاريطها ، وما يكون بين يديها ، إن بين يديها فتنة وهرجا) قالوا : يا رسول الله الفتنة قد عرفناها ، فالهرج ما هو ؟ قال : (بلسان الحبشة القتل . ويلقى بين الناس التناكر ، فلا يكاد أحد أن يعرف أحدا)([٨٢])

٣٧. تمني الموت من شدة البلاء . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لاَ تَقُومُ السّاعَةُ حَتّىَ يَمُرّ الرّجُلُ بِقَبْرِ الرّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ".([٨٣])

٣٨. فتح القسطنطينية :

أخرج الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فرفع رأسه فنظر إلي فقال: (ست فيكم أيتها الأمة موت نبيكم، فكأنما انتزع قلبي من مكانه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: واحدة قال: ويفيض المال فيكم حتى إن الرجل ليعطى عشرة آلاف فيظل يسخطها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتين قال: وفتنة تدخل بيت كل رجل منكم. قال رسول صلى الله عليه وسلم ثلاث. قال: وموت كقعاص الغنم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربع، وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيجمعون لكم تسعة أشهر بقدر حمل المرأة ثم يكونون أولى بالغدر منكم. قال رسول الله صلى الله عليه

---

[٨١] – صحيح البخاري : كتاب العلم – باب رفع العلم وظهور الجهل جـ ١ صـ ١٧٨ ، وصحيح مسلم : كتاب العلم – باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان جـ ١٦ صـ٢٢١ ، وجامع الرمذي باب ما جاء في أشراط الساعة جـ ٦ صـ ٤٤٨ حديث ٢٣٠١

[٨٢] – مسند الامام أحمد : جـ ٥صـ ٣٨٩ قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح أنظر : مجمع الزوائد ج ٧ ص٣٠٩

[٨٣] –صحيح البخاري : كتاب الفتن ج١٣ صـ ٨١، ٨٢ ، وصحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة جـ ١٨ ص ٣٤

وسلم: خمس، وفتح مدينة. قلت يا رسول الله: أي مدينة؟ قال: قسطنطينية).

وأخرج مسلم والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ فقالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحق حتى إذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، فيقولون لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها، ثم يقولون الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها، فيغنمون فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ أن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون". قال الحاكم: يقال إن هذه المدينة هي القسطنطينية صح أن فتحها مع قيام الساعة.

وأخرج أحمد والبخاري والبزار وابن خزيمة والطبراني والحاكم وصححه عن عبد الله بن بشر الغنوي حدثني أبي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش".

ويرى بعض العلماء أن فتح القسطنطينية الذي تتحدث عنه الأحاديث لم يقع إلى الآن،فقد روى الترمذي عن أنس بن مالك أنه قال : (فتح القسطنطينية مع قيام الساعة) ثم قال الترمذي : قال محمود –أي ابن غيلان شيخ الترمذي : هذا حديث غريب ، والقسطنطينية هي مدينة الروم ، تفتح عند خروج الدجال ، والقسطنطينية قد فتحت في زمان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .([٨٤]) والصحيح أن القسطنطينية لم تفتح في عصر الصحابة ، فإن معاوية رضي الله عنه بعث إليها ابنه يزيد في جيش فيهم سيدنا أبو أيوب الأنصاري ، ولم يتم له فتحها ، ثم حاصرها مسلمة بن عبد الملك بن مروان في زمان دولتهم ، ولم تفتح أيضا ، ولكنه صالح أهلها على بناء مسجد بها ([٨٥]) وفتح الترك للقسطنطينية كان بقتال .

٣٩. يقول الشيخ أحمد شاكر : (فتح القسطنينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد يعلمه الله عز وجل ، وهو الفتح

---

[٨٤] – جامع الترمذي : باب ما جاء في علامات خروج الدجال جـ ٦ صـ ٤٩٨

[٨٥] – انظر : البداية والنهاية: ج٨ صـ ٥٦

الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه ، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا فإنه كان تمهيدا للفتح الأعظم ، ثم هي قد خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين ..... وسيعود الفتح الاسلامي لها إن شاء الله كما بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ([٨٦])

٤٠- قتال اليهود :روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)([٨٧]) وهذا لفظ مسلم

٤١-استحلال البيت الحرام وهدم الكعبة. عَنْ زِيَادِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ".

وحدثني حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ".حدثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ (يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ) عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ يُخَرِّبُ بَيْتَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

وليست هذه هي كل ما ورد في الأحاديث الصحيحة من أشراط الساعة الصغرى ، لكن ماذكرناه يمثل غالب هذه الأشراط ،ويلاحظ على أشراط الساعة عموما أنها تعبر عن مفاهيم معينة يريد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبينها ويؤكد عليها ومنها مثلا :

١- أنها تمهيد ومقدمة للساعة فمثلا الزلازل علامة من علامات الساعة كما رواه الإمام أحمد: (بين يدي الساعة سنوات زلازل) ([٨٨]) ، وفي حديث أبي هريرة في البخاري:(وتكثر الزلازل)([٨٩]) حتى تأتي الساعة تزلزل زلزالها الأكبر وهذا هو معنى قوله تعالى :(إذا زلزلت

---

[٨٦] – حاشية عمدة التفسير عن ابن كثير : اختصار وتحقيق الشيخ أحمد شاكر جـ٢ صـ ٢٥٦ طبعة دار المعارف مصر ١٣٧٦هـ .

[٨٧] – صحيح البخاري : كتاب الجهاد – باب قتال اليهود جـ٦صـ ١٠٣ ، وصحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة جـ ١٨ صـ٤٤، ٤٥

[٨٨] – رواه الإمام أحمد في المسند من طريق ضمرة بن حبيب عن سلمة بن نفيل .

[٨٩] – رواه البخاري في الاستسقاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الأرض زلزالها) [سورة الزلزلة : الآية ١] ، وكذلك يكون انتشار الصواعق ، حتى يكون الصعق الأكبر ، والدجالون وظهورهم كعلامة من علامات الساعة يكونون ثلاثين ، مقدمة بين يدى المسيح الدجال وهو أكبرهم كما قال ابن كثير عند ذكر الدجال (ولنذكر قبل ذلك مقدمة في ذكر الدجالين الكذابين الذين هم كالمقدمة بين يديه ، ويكون المسيح الدجال آخرهم قبحه الله وإياهم وجعل نار الجحيم مستقرهم ومثواهم) .

٢- أن كثيرا منها يعبر عن التقابل بين الخير والشر ، في الوجود ، والصفات ، وكأنها أسلوب من أساليب الدعوة إلى الخير والترغيب فيه ، والتنفير من الشر والترهيب منه ، (كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) [سورة الأعراف : جزء من الآية ٢٩ ،وجزءمن الآية ٣٠]ففي خط تاريخي يبدأ من زمن البعثة تكون الخيرية المطلقة ثم يكون الخير وبه دخن ، ثم مرحلة من علو الشر ، ثم مرحلة خيرية مطلقة مرة ثانية ، ثم بعد ذلك مرحلة من الشر الذي لاخير فيه وفيها تقوم الساعة ، فلا تقوم الساعة إلا على شرار الناس .وعليه فالنبوة محور الخير يتبعها القائمون على أمر الله ، حتى يقاتل آخرهم الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير وهي امتداد لمرحلة الخير التي بدأت بالمهدي.

ثانيا : أشراط الساعة الكبرى :

وقد ورد في هذه العلامات أحاديث كثيرة ، كما تحدث القرآن عن كثير منها ، وفي حديث للإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال : إطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة . قال : إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)([٩٠])

وهذه العلامات الكبرى إذا ظهر أولها تتابعت كتتابع الخرز في النظام يتبع بعضها بعضا ، فقد روي الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خروج الآيات

---

[٩٠] – صحيح الإمام مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة .

بعضها على أثر بعض يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام) (٩١) [والنظم العقد من الجوهر والخرز] لكن لا يعرف الموعد الذي تظهر فيه هذه العلامات الكبرى ، لا على وجه التحديد ، ولا على وجه التقريب ، لأن تحديد موعد علامة من هذه العلامات معناه تحديد موعد الساعة ، وهو ما يخالف حكمة الله في خلقة كما بينا من قبل ، وكما سنزيد هذا الأمر إيضاحا ، لكن المؤكد أنها ستظهر في آخر الزمان في موعد لا يعلمه إلا الله .

وهذه العلامات الكبرى هي :

١- المهدي :

من علامات الساعة الكبرى، وقيل إنه من العلامات الصغرى ، أنه في آخر الزمان يخرج رجل من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، يؤيد الله به الدين ، يملك سبع سنين ، يملأ الأرض عدلا كما ملأت جورا وظلما ، تنعم الأرض في عهده نعمة لم تنعمها قط ، تخرجَ الأرض نباتها ، وتمطر السماء قطرها ، ويعطى المال بغير عدد.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله : وفي زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزروع غزيرة ، والمال وافر ، والسلطان قاهر ، والدين قائم ، والعدو راغم ، والخير في أيامه دائم(٩٢)

وأحاديث المهدي صحيحة متواترة مروية عن (١) ابن مسعود أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه (٢) وأم سلمة أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم في المستدرك (٣) وعلي بن أبي طالب أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه (٤) وأبي سعيد الخدري أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو يعلى والحاكم في المستدرك (٥) وثوبان أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم في المستدرك (٦) وقرة بن إياس المزني أخرجه البزار والطبراني في الكبير والأوسط (٧) وعبد الله بن الحارث بن جزء أخرجه ابن ماجه والطبراني في الأوسط (٨) وأبي هريرة أخرجه أحمد والترمذي وأبو يعلى والبزار في مسندهما والطبراني في الأوسط وغيرهم (٩) وحذيفة بن اليمان أخرجه الروياني (١٠) وابن عباس أخرجه أبو نعيم في أخبار المهدي (١١) وجابر بن عبد الله أخرجه

---

٩١ - قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وداود الزهراني وكلاهما ثقة انظر مجمع الزوائد جـ٧ صـ٣٣١ وقال الألباني صحيح انظر صحيح الجامع الصغير جـ ٣ صـ ١١٠

٩٢ - النهاية : الفتن والملاحم صـ ٣١

أحمد ومسلم إلا أنه ليس فيه تصريح بذكر المهدي بل أحاديث مسلم كلها لم يقع فيها تصريح به (١٢) وعثمان أخرجه الدارقطني في الأفراد (١٣) وأبي أمامة أخرجه الطبراني في الكبير (١٤) وعمار بن ياسر أخرجه الدارقطني في الأفراد والخطيب وابن عساكر (١٥) وجابر ابن ماجد الصدفي أخرجه الطبراني في الكبير (١٦) وابن عمر (١٧) وطلحة بن عبيد الله أخرجهما الطبراني في الأوسط (١٨) وأنس بن مالك أخرجه ابن ماجه (١٩) وعبد الرحمن بن عوف أخرجه أبو نعيم (٢٠) وعمران بن حصين أخرجه الإمام أبو عمرو الداني في سننه وغيرهم وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنها متواترة والسخاوي ذكر ذلك في فتح المغيث ونقله عن أبي الحسين الآبري.(٩٣)

وللقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني رحمه الله رسالة سماها [التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح] قال فيها : والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً في الصحيح والحسن والضعيف المنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك(٩٤)

وكما يذكر كثير من الكتاب فإن أشد نقد لأحاديث المهدي جاء من قبل المؤرخ والعالم الإسلامي ابن خلدون (٧٣٣هـ -١٣٣٢م) ، بل قالوا إن ابن خلدون لكونه يعد الأحاديث المتعلقة بالمهدي أحاديث ضعيفة فهو ينكر وجود المهدي في عقيدة الإسلام ، وفي الحقيقة كان ابن خلدون من العلماء الذين اهتموا بموضوع المهدي بشكل مفصل ، وهو يقول إن موضوع المهدي موضوع مشهور ، ومعروف بين المسلمين منذ مئات الأعوام ، ويحلل ابن خلدون الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع ويقيمها من ناحية السند والرجال ويصل إلى الحكم التالى : (كما رأينا فإن جميع الأحاديث – عدا أحاديث قليلة – لا تخلو من النقد)(٩٥) وإذا نظرنا إلى

---

٩٣ - انظر لتخريج هذه الأحاديث ، وتحقيق الأقوال الواردة في المهدي كتاب : المهدي المنتظر لأبي الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري طبعة خاصة بدون تاريخ .

٩٤ - المرجع السابق : المقدمة صـ ٥

٩٥ - ابن خلدون : المقدمة جـ ٢ صـ ٨٢٢

تعبيره هذا فمن الصعب عد ابن خلدون منكرا لمسألة المهدي فابن خلدون ينتقد الشرح التفصيلي لموضوع المهدي ، ويرى أن من قام بذلك من أهل السنة استقى آراءه من الشيعة .

وهكذا فحتى أصعب الأشخاص قبولا لهذا الموضوع وهو ابن خلدون لا يرده ردا نهائيا وحاسما ، بل يقول : عدا أحاديث قليلة ، ويفهم من هذا أنه يرى أن هناك أحاديث صحيحة في حق المهدي ، ووجود أحاديث ضعيفة ، أو حتى موضوعة لايبرر إنكار جميع الأحاديث في هذا الموضوع ، فوجود تفاحات متعفنة في سلة تفاح لايبرر النظر إلى جميع التفاحات الموجودة على أنها متعفنة .

وليس ابن خلدون وحده هو الذي تتبع أحاديث المهدي ، بل تبعه آخرون ، ولست بحاجة إلى إعادة ما ذكرته في المقدمة من أن الإفراط يدفع إلى التفريط وكلاهما مضران ، وكلا طرفي الأمر ذميم .

وخلاصة القول في الإمام المهدي : أنه سيظهر في آخر الزمان ، وأن اسمه محمد بن عبد الله ، أو أحمد بن عبد الله ([٩٦])، وأنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ولد فاطمة ([٩٧])، وأنه يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخَلق ، ولا يشبهه في الخُلق ،([٩٨])، وأنه يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا ، وأنه يقيم شرائع الإسلام ، ويحمي ماانذثر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويمكن له ويكثر الرخاء في أيامه من وفرة العدل ،وكثرة ما يعطى من المال ، فهو يحثو المال حثوا لايعده عدا ([٩٩])، وأنه يمكث سبع سنين([١٠٠])

فخلاصةالروايات الصحيحة التي تحدثت عن المهدي لا تخرج عن كونها أخبارا عن ظهور رجل من المصلحين في آخر الزمان يرفع لواء الحق ، ويعلى كلمة الله ، ويمكن للإسلام ، ويكون طليعة للخير العام الذي يأتي بعده .

عن الغلو في شأن المهدي حدث ولا حرج ، عن انتظار المهدي وتعطيل الأحكام من أجل غيابه ، حتى تعطل فرائض كثيرة ، ومصالح كثيرة ، من أجل انتظار هذا المهدي ، هذا بالنسبة للشيعة ، أما السنة ،

---

[٩٦] – رواه ابو داود والترمذي .
[٩٧] – رواه ابو داود والحاكم .
[٩٨] – رواه أبو داود من كلام الامام علي .
[٩٩] – رواه مسلم
[١٠٠] –رو اه أبو داود.

فهم الآخرون ينتظرون ، ويتطلعون ، ويتفرجون ، بل تبارى بعض من يكتبون عن المهدي فتحدث عن سنة خروجه بالتحديد، والكتابات اليوم تتحدث عن هذا المهدي الذي سيحارب العالم جميعا ويدخل في حروب متوالية ، تحدد أطرافها ووقائعها ، ونتائجها، وكل هذا من داخل النصوص التي سبق لك معرفة خلاصتها .

أضيفت روايات مزوقة ومزيفة قد تطرف فيها صاحبها حتى تشبه على المستمعين فالجاهل بهذه الروايات يعض شفتيه تلهفا ،ونسجت وقائع ، ووضعت تأويلات معتسفة للنصوص الصحيحة ، ونسجت شجرة كبيرة من الخرافة حول بذرة من الحقيقة ، وهو مايشبهه البعض بكرة الثلج التي تبدأ صغيرة ثم وهي تتدحرج على جبل الثلج تظل تكبر وتكبر ، لكن هذا كله يضيع حينما تبزغ شمس الحقيقة .

ثم هذا كله يهون لو وقف الأمر عند هذا الحد ، لكن جو الانتظار ، وأفكار الانتظار فرخ أدعياء للمهدوية في كل زمان ([١٠١])، كان آخرهم صاحب فتنة الحرم المكي الشريف ١٤٠٠هـ ([١٠٢]) ؛ فليس لهذه الدعوات مناخا أنسب من هذ المناخ الذي يصنعه من يتحدثون عن هذا الموضوع ، ويتاجرون به ، ويزايدون عليه .

---

[١٠١] – أول من استغل فكرة المهدي هو (كيسان) الذي كان عبدا أعتقه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه حيث ادعى أن (محمد ابن الحنفية) وهو الابن الأصغر لعلي بن أبي طالب لم يمت بل هو في جبل رضوى ، وأنه سيخرج في يوم من الأيام لينشر العدل في الأرض. وفي عام ١٢٨هـ ادعى حارث بن شريح أنه المهدي المنتظر ، ولكنه لم يوفق في اقناع الناس مع أنه قام بوضع حديث حول قيام شخص اسمه حارث بإنقاذ الناس ، ومن الأمثلة على بعض من ادعى المهديه وجمع حوله الجموع :

١-مهدي الهند (سيد محمد) ٩١٠هـ – ١٥٠٤م.
٢- مهدي المغرب (عبد الله بن تومرت) ٥٢٤ هـ- ١١٠٣م.
٣- ميرزا غلام أحمد القادياني ادعى المهدية في الهند وأيد الإنجليز .
٤-مهدي السودان محمد أحمد ١٣٠٣هـ – ١٨٨٥م .
٥-مهدي الصومال محمد عبد الله حسن ١٣٣٩- ١٩٢٠م .
٦-اليجا محمد زعيم الزنوج المسلمين في أمريكا .

وهذه مجرد أمثلة .

[١٠٢] – للمزيد حول مدعي المهدوية في الاسلام انظر مثلا : المهدي المنتظر وأدعياء المهدية – جمع وترتيب محمد بيومي طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

نؤمن بأن المهدي سيأتي ، فما المطلوب منّا إذن ؟؟؟ وماذا سيفعل المهدي لنا ؟ وهل سيكون المهدي إلا متبعا لنبي الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، الذي عاش حياته كلها في جهاد متواصل ، ومـلأ الأرض نـورا وعدلا ، كل ذلك أخذا بأسباب الله في خلقه ، وفي مخلوقاته ، وما حادثـة الهجرة عنا ببعيدة ، وقد كانت الحرب بين خاتم النبيين والمشركين سـجالا ، وكان المؤمنون ينفرون معه خفافا وثقالا ، فهل يكون المهدي أهدى منه أعمالا ، وأحسن حالا ومآلا فيعيد للمسـلمين مجدهـم وعـدل شـرعهم بالخوارق والكرامات ؟ كلا([١٠٣])

وهل يضير المسلمين أن يأتيهم المهدي وهم على شرع الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكونوا من عصبـة المـهدي ، إن اليهود يصنعون أساطيرهم ، وأقول أساطيرهم لأن كل مـا بنيـت عليـه دولتهم الزائلة –إن شاء الله – ليس إلا أساطير وأوهام ، ولكنهم يصنعـون هذه الأوهام ، ويفرضونها بالقوة على العالم كله ، أما المسلمون فينتظرون وينتظرون وينتظرون !!!!!.

أيضا نريد أن نقول إن موضوع المهدي لا يشكل قـاعدة إيمانيـة عند أهل السنة مثلما نراه عند الشيعة ، لذا لايمكـن طلـب أدلـة دامغـة وقطعية لمسائل فرعية ما ، ستقع من حوادث قبيل قيام الساعة، والتـي لا تعد من أركان الإيمان ، وربما يكفي هنا [عدم ردّها وعدم التعرض لـها والتسليم بها] – كما سبق أن أوردنا قول الشيخ النورسـي – والشـيء الخاطئ هنا هو الوقوع في الكسل والخدر ، وانتظـار أن يقـوم المـهدي بإصلاح كل شيء ، ومجيء شخص غيبي لإنقـاذ المجتمعـات ، وتـرك الإنسان وظيفته الإرشادية ، وهروبه من مسؤولياته ، وتعليق الأمل كلـه على مجيء المهدي،فهذا هو الخطأ في التعامل مع هـذه الأخبـار التـي تتحدث عن مجيء المهدي ، أما الموقف الصحيح فهو أن يقوم المسـلمون بتهيئة الأرضية الصالحة لمجيء المهدي – مثلما يقوم الأمريكيـون الآن بحملة تشجير بلدهم ليكون أرضا خضراء عنـد مجـيء عيسـى عليـه السلام([١٠٤])!!!!!!.

---

[١٠٣] – الشيخ رشيد رضا : تفسير المنار جـ ٩ صـ ٤٦٠ .

[١٠٤] – د/ زكي صاري طوابرق : مسألة المهدي عند بديع الزمان – ضمـن أبحـاث المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي [تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشـرين] صـ ٧٥٣ بتصرف الطبعة الأولى .

٢-المسيح الدجال :

وهو رجل من بني آدم ، له صفات كثيرة جاءت بـها الأحـاديث لتعريف الناس به ، وتحذيرهم من شره ، حتى إذا خرج عرفه المؤمنون ، فلا يفتنون به ، بل يكونو على علم بصفاته التي أخبر بها الصادق صلـى الله عليه وسلم ، وهذه الصفات تميزه عن غيره من الناس ، فلا يغتر بـه إلا الجاهل .

وسمي المسيح لأنه يمسح الأرض ويقطعها في أربعيـن يومـا ، ولأنه ممسوح العين اليمنى ، فهي عوراء لا يرى بها ، وسمى الدجال مـن الدجل لأنه يغطى الحق بالباطل ، ويغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهـه وتلبيسه عليهم .

ومن صفات الدجال التي وردت بها الأحاديث أنـه رجـل شـاب أحمر قصير جعد الرأس أجلى الجبهة، عريض النحر ، ممسـوح العيـن اليمنى ، وهذه العين ليست بارزة ، ولا منجحرة في نقرتها كأنـها عنبـة طافية ، ومكتوب بين عينيه كفر بالحروف المقطعة ، أو كافر بدون تقطيع ، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب وقد ورد ذكر الدجال وأوصافه فـي أحاديث كثيرة منها:

ماروى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال : إن الله ليس بـأعور ، ألا وإن المسـيح أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية)([١٠٥])

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليـه وسلم في وصف الدجال : (إنه شاب قطط ، عينه طافية .....)([١٠٦])

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال صلى الله عليـه وسـلم : (إن بيـن عينيه مكتوب كافر)([١٠٧])

وفي رواية : (ثم تهجاها [ك ف ر] يقرؤه كل مسلم)([١٠٨]) وفي رواية عن حذيفة : (يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب)([١٠٩])

---

[١٠٥] – صحيح البخاري : كتاب الفتن – باب ذكر الدجال جـ ١٣صـ ٩٠ ، وصحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة –باب ذكر الدجال جـ ١٨ صـ ٥٩

[١٠٦] – صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة –بـاب ذكـر الدجـال جـ ١٨

[١٠٧] صحيح البخاري : كتاب الفتن – باب ذكر الدجال جـ ١٣صـ ٩٠ ، وصحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة –باب ذكر الدجال جـ ١٨ صـ ٥٩

[١٠٨] –صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة –باب ذكر الدجال جـ ١٨ صـ

[١٠٩] –صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة –باب ذكر الدجال جـ ١٨ صـ

هذا الدجال ورد في حديث عند الإمام الترمذي أنه يخرج من جهة المشرق ، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الدجال يخرج من أرض بالمشرق ، يقال لها خراسان) ([١١٠])

وقد ورد في حديث للإمام أحمد أنه من يهود أصبهان ، وأنه يخرج معه سبعون ألفا من اليهود ، فعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يخرج الدجال من يهودية أصبهان ، معه سبعون ألفا من اليهود)([١١١])

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أيضا أن الدجال سيمكث في الأرض أربعين يوما ، يمسح فيها الأرض ويطوف بها ، وليس من بلد إلا وسيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، وأول هذه الأيام يكون مقدار سنة من سنوات الدنيا التي تمر بنا ، واليوم الثاني مقدار شهر من شهور الدنيا أيضا ، واليوم الثالث مقدار أسبوع من أسابيع الدنيا كذلك ، وبقية الأربعين يوما تكون أياما عادية كل يوم منها مثل يوم من أيامنا هذه . يدل على ذلك مثلا ما رواه النواس بن سمعان قال : قلنا يا رسول الله : وما لبثه في الأرض ؟ قال : أربعون يوما . يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم . قلنا يارسول الله : فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا أقدروا له قدره .....)([١١٢])

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال ، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ومن الارشادات العظيمة التي أرشد إليها المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته لتنجو من هذه الفتنة العظيمة: ([١١٣])

١- التمسك بالإسلام والتسلح بسلاح الإيمان ، والتعرف على أسماء الله الحسنى ، وصفاته التي لا يشاركه فيها أحد ، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب ، وأن الله منزه عن ذلك ، وأن الدجال أعور ، والله

---

[١١٠] -جامع الترمذي : باب ما جاء من أين يخرج الدجال ؟ جـ٦ صـ ٤٩٥ قال الألباني :صحيح انظر صحيح الجامع الصغير جـ ٣صـ ١٥٠ حديث رقم ٣٣٩٨

[١١١] - الفتح الرباني ترتيب مسند الامام أحمد جـ ٢٤ صـ ٧٣ قال ابن حجر : صحيح انظر فتح الباري جـ ١٣ صـ ٣٢٨

[١١٢] -صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة -باب ذكر الدجال جـ ١٨ صـ ٦٥، ٦٦

[١١٣] - انظر كتاب أشراط الساعة : يوسف الوابل - صـ ٣٢٥-٣٢٨.

ليس بأعور ، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت ، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم .

٢- التعوذ بالله من فتنة الدجال ، وخاصة في الصلاة ، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة : منها ما رواه الشيخان والنسائي عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ..... الحديث)([١١٤])

٣- حفظ آيات من سورة الكهف فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال ، وفي بعض الروايات خواتيمها ، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها .ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه مسلم عن النواس بن سمعان وفيه قوله صلى الله عليه وسلم (من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف)([١١٥]) وروى مسلم أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)([١١٦])

أنكر الدجال قوم ، وهول في أحاديثه آخرون ،وأنقل لك هنا حديثا واحد فقط مما رواه الملفقون والمزوقون عن الدجال ، أورده الإمام ابن كثير تحت عنوان [خبر غريب ونبأ عجيب] : قال نعيم بن حماد في كتاب الفتن حدثنا أبو عمر عن عبد الله بن لهيعة عن عبد الوهاب بن حسين عن محمد بن ثابت عن أبيه عن الحارث عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بين أذني الدجال أربعون ذراعا ، وخطوة حماره مسيرة ثلاثة أيام ، يخوض البحر كما يخوض أحدكم الساقية ، ويقول أنا رب العالمين ، وهذه الشمس تجري بإذني أفتريدون أن أحبسها؟ فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر ، والجمعة ، ويقول أتريدون أن أسيرها فيقولون نعم، فيجعل اليوم كالساعة ، وتأتيه المرأة

---

[١١٤] - صحيح البخاري : كتاب الأذان - باب الدعاء قبل السلام جـ ٢ صـ ٣١٧ ، وصحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم جـ ٥ صـ ٨٧

[١١٥] - صحيح مسلم : كتاب الفتن - باب ذكر الدجال جـ ١٨ صـ ٦٥

[١١٦] - صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي جـ ٦ صـ ٩٢، ٩٣

فتقول : يارب أحيى لى ابني وأحيى لي زوجي حتى أنها تعاين شيطانا ، وبيوتهم مملوءة شياطين ، ويأتيه الأعراب فتقول يارب أحيى لنا إبلنا وغنمنا ، فيعطيهم شياطين أمثال إبلهم وغنمهم سواء بالسن والسمة ، فيقولون : لو لم يكن هذا ربنا لم يحيى لنا موتانا ، ومعه جبل من مرق ، وعراق اللحم حار لا يبرد ، ونهر جار ، وجبل من جنان ، وخضرة، وجبل من نار ودخان ، يقول هذه ناري ، وهذا طعامي ، وهذا شرابي .

واليسع عليه السلام معه ينذر الناس ويقول هذا الشيخ الكذاب فاحذروه لعنه الله ، ويعطيه الله من السرعة والخفة مالا يلحقه الدجال ، فإذا قال : أنا رب العالمين قال له إلياس : كذبت ، ويقول اليسع : صدق إلياس كذبت ، فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت فيقول أنا ميكائيل بعثني الله أن أمنعه من حرمه ، ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت فيقول أنا جبريل بعثني الله لأمنعه من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيمر الدجال بمكة فإذا رأى ميكائيل ولى هاربا ، ويصيح فيخرج إليه من مكة منافقوها ، ومن المدينة كذلك ، ويأتي النذير إلى الذين فتحوا القسطنطينية ، ومن تألف من المسلمين بيت المقدس قال فيتناول الدجال ذالك الرجل فيقول هذا الذي يزعم أني لا أقدر عليه فاقتلوه فينشر ، ثم يقول أنا أحييه ، قم بإذن الله ، ولا يأذن الله لنفس غيرها . فيقول انست قد أمتك ثم أحييتك فيقول الآن ازددنا فيك يقينا ، بشرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنك تقتلني ثم أحيا بإذن الله ، فيوضع على جلده صفائح من نحاس فلا يحيك فيه شيء من سلاحهم لا بضرب سيف ولا سكين ولا حجر إلا تحول عنه ولم يضره منه شيء فيقول اطرحوه في ناري ويحول الله عز وجل ذلك الجبل على النذير جنانا خضرة فيشك الناس فيه ويبادر إلى بيت المقدس فإذا صعد على عقبة أفيق وقع ظله على المسلمين فيوترون قسيهم لقتاله فأقوى المسلمين يومئذ من برك باركا أو جلس جالسا من الجوع والضعف ويسمعون النداء يا أيها الناس قد أتاكم الغوث ..... الخ)

ثم يعقب الامام ابن كثير على هذا الحديث الذي أوردنا جزءا منه فقط بقوله : قال شيخنا الحافظ الذهبي : وهذا الحديث شبه موضوع !!!!!! ثم يورد بعد ذلك أحاديث أخرى فيها أشياء غريبة ومنكرة كما يقول .([١١٧])

---

[١١٧] - الامام ابن كثير : البداية والنهاية - الجزء الثامن صـ ١٠١-١٠٤ بايجاز وتصرف . مرجع سابق .

وليس الدجال فقط هو الذي أخذ نصيبه من التهويل بل تعدى ذلك إلى كل ما يخصه فهذا حمار الدجال أيضا ، فقد روى نعيم بن حماد عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن حوط العبدي عن عبد الله قال : أذن حمار الدجال تظل سبعين ألفا .

حمار أبتر ما بين أذنيه أربعون ذراعا ،ما بين حافره إلى الحافر الآخر مسيرة أربع ليال تطوى له الأرض منهلا منهلا يتناول السماء بيده أمامه جبل من دخان وخلفه جبل آخر !!!!!

ولا تعليق لى على ذلك سوى أن أقول لم كل هذه التهويلات ، ألا تكفينا الأحاديث الصحيحة الصريحة الواضحة ، حبة من حقيقة خير من قنطار من وهم

٣-نزول عيسى عليه السلام :

ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة ، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى .

فالقرآن الكريم يقول : (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) إلى قوله تعالى : (وإنه لعلم للساعة) [سورة الزخرف : الآيات ٥٧-٦١] فهذه الآيات جاءت في الكلام على عيسى عليه السلام ، وجاء في آخرها قوله تعالى : (وإنه لعلم للساعة) أي نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة .

ويقول تعالى أيضا : (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) إلى قوله تعالى : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) [سورة النساء : الآيات ١٥٧-١٥٩]

فهذه الآيات تدل على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام ، ولم يصلبوه ، بل رفعه الله إلى السماء ، وتدل أيضا على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان ، وذلك عند نزوله وقبل موته كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة .([١١٨])

ومن الأحاديث التي وردت في نزول عيسى عليه السلام :

ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم

---

[١١٨] - أشراط الساعة : يوسف بن عبد الله الوابل صـ ٣٤٣، ٣٤٤ مرجع سابق بتصرف

حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها)

ثم يقول أبي هريرة : واقرءوا إن شئتم : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) ([١١٩])

وروى الشيخان أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)([١٢٠])

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ، فيقول أميرهم : صل لنا فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة لهذه الأمة)([١٢١])

والأحاديث في هذا كثيرة ومتواترة ، وعندما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان يحكم بالشريعة المحمدية ، ويكون من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو لا ينزل بشرع جديد ، لأن دين الإسلام خاتم الأديان ، وباق إلى قيام الساعة .

---

[١١٩] – صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء – باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام جـ ٦ صـ ٤٩٠، ٤٩١، وصحيح مسلم : باب نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حاكما جـ ٢صـ ١٨٩-١٩١

[١٢٠] – صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء – باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام جـ ٦ صـ ٤٩١، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان – باب نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حاكما جـ ٢صـ ١٩٣

[١٢١] – صحيح مسلم : كتاب الإيمان –باب نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حاكما جـ ٢صـ ١٩٣

٤-يأجوج ومأجوج :

وهم قوم من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام ، أما صفتهم التي جاءت بها الأحاديث ، فهي أنهم يشبهون المغول صغار العيون عراض الوجوه ، وما ورد غير ذلك من صفاتهم غير صحيح ، كمن قال مثلا إن منهم صنف أجسادهم كالأرز وهو شجر كبير جدا ، ومنهم صنف أربعة أذرع في أربعة أذرع ، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى ، وجاء أيضا أن طولهم شبر وشبرين ، وأطولهم ثلاثة أشبار !!عمالقة أم أقزام الله أعلم لم يرد خبر بذلك والعجيب أن يورد مثل هذا بعض العلماء ، وقد عقب الامام ابن كثير على هذا بقوله : من زعم أن هذه صفاتهم فقد تكلف مالا علم له به ، وقال ما لادليل عليه.([١٢٢])

وخروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى وقد دل على خروجهم الكتاب والسنة : فمن أدلة القرآن الكريم : قوله تعالى : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) [الأنبياء ٩٦،٩٧].

وقال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين : (ثم أتبع سببا . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا .قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما . آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه ، وما استطاعوا له نقبا . قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا . وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا) [الكهف : ٩٢- ٩٩]

فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى سخر ذا القرنين ([١٢٣])الملك الصالح لبناء السد العظيم؛ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض

---

[١٢٢] – انظر البداية والنهاية: – صـ ١١٥ مرجع سابق .

[١٢٣] –(ذو القرنين): اختلف فى اسمه ،فروى عن ابن عباس أن اسمه : عبدالله بن الضحاك بن معد . وقيل :مصعب بن عبدالله بن قنلن من الأزد ،ثم من قحطان ،وقيل غير ذلك.

وسمي ذو القرنين لأنه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشيطان ويغرب ،وقيل غير ذلك ،وكان عبدا مؤمنا صالحا ، وهو غير ذى القرنين الاسكندر المقدونى

وبين الناس، فاذا جاء الوقت المعلوم ، واقتربت الساعة ، اندك هذا السد ، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة ، وجمع كبير ، لا يقف أمامه أحد من البشر ، فماجوا فى الناس ، وعاثوا فى الأرض فسادا .

وهذا علامة على قرب النفخ فى الصور وخراب الدنيا وقيام الساعة ([١٢٤])؛ كما سيأتي بيان ذلك فى الأحاديث الثابتة.

والأحاديث الدالة على ظهور يأجوج ومأجوج كثيرة ، ، تبلغ حد التواتر المعنوي، وسأذكر هنا طرفا من هذه الأحاديث :

١-فمنها ما ثبت فى الصحيحين عن ام حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا يقول (لا اله الا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعيه الابهام والتي تليها) . قالت زينب بنت جحش:فقلت:يا رسول الله ! أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: (نعم إذا كثر الخبث)([١٢٥])وفيها ما جاء فى حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ،وفيه:"اذا أوحى الله الى عيسى اني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم ، فحرز عبادى الى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ([١٢٦])فيمر اولئك على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مئة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه ،فيرسل الله عليهم النغف ([١٢٧]) في رقابهم ، فيصبحون فرسى ([١٢٨]) كموت نفس واحدة ، ثم يهبط بنبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في

المصري ؛ فان هذا كان كافرا ، وهو متأخر عن المذكور فى القرآن وبينهما أكثر من ألفي سنة.=(انظر البداية و النهاية) ص

[١٢٤] انظر: (الطبري)(١٦/١٥/٢٨و١٧/٨٧_٩٢)، و(تفسير ابن كثير)(٥/١٩١/١٩٦و٥/٣٦٦_٣٧٢)،و"تفسير القرطبي"(١١/٣٤١_٣٤٢)

[١٢٥] "صحيح البخاري" كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ،(٦/٣٨١-مع الفتح) ، وكتاب الفتن ، (١٣/١٠٦-مع الفتح) ، و"صحيح مسلم " ، كتاب الفتن=وأشراط الساعة ، (١٨ /٢-٤-مع شرح النووي).

[١٢٦] (الحدب) : هو كل موضع غليظ مرتفع ، والجمع أحداب وحداب ،والمعنى يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها.

[١٢٧] (النغف)؛ بالتحريك : دود يكون فى أنوف الابل والغنم،واحدتها نغفة (النهاية فى غريب الحديث) (٥/٨٧).

واحدة ، ثم يهبط بنبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت([١٢٩]) فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله)([١٣٠])

ماذا يقول المهولون عن يأجوج ومأجوج : انظر معي بعض ما ورد ، وأقول بعض ما ورد فمثلا في كتاب الفتن لنعيم بن حماد حديث طويل عن يأجوج ومأجوج ، نذكر منه بعض الأحاديث، والرقم المثبت هو رقم الحديث كما ورد في الكتاب المذكور .

١٦٢٦-حدثنا بقية عن صفوان عن شريح بن عبيد عن كعب قال خلق الله يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف صنف أجسامهم كالأرز وصنف أربع أذرع وعرضهم مثل أقوياهم وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون الأخرى ويأكلون مشائم نسائهم .

١٦٢٩ -قال صفوان وحدثني أبو المثنى الأملوكي عن كعب قال عرض أسفكة باب يأجوج ومأجوج الذي يفتح لهم السفلى أربعة وعشرون ذراعا تخفيها أسنة رماحهم

١٦٣٠ -حدثنا ابن وهب عن مسلمة بن علي وموسى بن شيبة عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن ابن عباس قال الأرض سبعة أجزاء فستة أجزاء منها يأجوج ومأجوج وجزء فيه ساير الأرض وقال حسان بن عطية يأجوج ومأجوج أمتان في كل أمة مائة ألف أمة لا يشبه أمة أخرى لا يموت الرجل منهم حتى ينظر في مائة عين من ولده

١٦٣١ -حدثنا ابن وهب حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن يأجوج ومأجوج حين يخرجون يخوج أولهم في بالبحيرة بحيرة طبرية فيشربونها ثم يأتي آخرهم عليها فيقولون كأنه كان هاهنا مرة ماء فإذا غلبوا على الأرض قالوا قد غلبنا على الأرض تعالوا نقاتل أهل السماء فقالوا يا رسول الله فأين يكون المسلمون قال يتحصنون فيرسل الله سحابا يقال لها العنان وكذلك اسمه

---

[١٢٨] – فرسى أي قتلى انظر النهاية في غريب الحديث والأثر للجزري تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محد الطناحي طبعة دار الفكر الثانية ١٣٩٩ هـ جـ ٣ صـ٢٢٨

[١٢٩] – البخت هي جمال طوال الأعناق ، وهي لفظة معربة ، واحدها بختية للأنثى ، وبختي للذكر انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ج١ صـ ١١ مرجع سابق .

[١٣٠] – صحيح مسلم : باب ذكر الدجال جـ ١٨ صـ ٦٨،٦٩

والله قاتلهم فيمكثوا ما شاء الله فيوحي الله تعالى إلى السحاب فتمطر عليهم دودا كالنغف نغف الإبل يخرج منها فتأخذ كل واحدة في عنق واحد منهم فتقتله فبيناهم على ذلك إذ قال رجل من المسلمين افتحوا لي الباب أخرج أنظر ما فعل أعداء الله لعل الله يكون قد أهلكهم فيخرج فإذا جاءهم وجدهم قياما موتى بعضهم على بعض فيحمد الله وينادي إلى أصحابه إن الله قد أهلكهم فيبعث الله مطرا فيغسل الأرض منهم قال فيستوقد المسلمون بقسيهم ونبلهم كذا وكذا سنة وتأكل مواشي المسلمين من جيفهم فتشكر عليهم وتلين

وليست هذه هي كل الأحاديث بل غيرها كثير وكثير ، وكلها من مرويات نعيم بن حماد ، وأغلبها مروية عن كعب الأحبار ، وهما كما ستعرف بعد قليل ماذا قال علماء الجرح والتعديل فيهما !!!!!

٥-الخسوفات الثلاثة :

والخسف هو ذهاب المكان في الأرض وغيابه فيه ومنه قوله تعالى : (فخسفنا به وبداره الأرض) [سورة القصص :من الآية ٨١] والخسوفات التي هي من أشراط الساعة جاء ذكرها في الأحاديث ضمن العلامات الكبرى فعن حذيفة بن أسيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات فذكر منها : وثلاثة خسوف خسف بالمشرق،وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب)(١٣١)

وعن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (سيكون بعدي خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف في جزيرة العرب) قلت يا رسول الله ! أيخسف بالأرض وفيها الصالحون ؟ قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم إذا أكثر أهلها الخبث)(١٣٢)

١٣١ – صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة – جـ ١٨ صـ ٢٧، ٢٨

١٣٢ – رواه الطبراني في الأوسط ، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٨ صـ ١١ وقال في الصحيح بعضه ، وفيه حكيم بن نافع ، وثقه ابن معين وضعفه غيره وبقية رجاله ثقات .

٦-الدخان .

قال تعالى : (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين . يغشى الناس هذا عذاب أليم) [سورة الدخان :الآيتان ١٠-١١] ، وقد اختلف السلف في تفسير آية الدخان . فقال بعضهم . إنه دخان يوم القيامة ، وإن التهديد بارتقابه كالتهديد المتكرر في القرآن . وإنه آت يترقبونه ويترقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم:بل هو قد وقع فعلاً ، كما توعدهم به . ثم كشف عن المشركين بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم، فنذكر هنا ملخص القولين وأسانيدهما . ثم نعقب بما فتح الله به ، ونحسبه صواباً إن شاء الله .

قال سليمان بن مهران الأعمش ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، عن مسروق . قال:دخلنا المسجد – يعني مسجد الكوفة – عند أبواب كندة . فإذا رجل يقص على أصحابه: يوم تأتي السماء بدخان مبين . . تدرون ماذا الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة ، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام . قال:فأتينا ابن مسعود – رضي الله عنه – فذكرنا ذلك له ، وكان مضطجعاً ففزع فقعد ، وقال:إن الله عز وجل قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم : قل: (ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) [سورة ص : الآية ٨٦]. إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم:الله أعلم . أحدثكم عن ذلك . إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف . فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة ؛ وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان – وفي رواية فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد – قال الله تعالى: (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) . . فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له:يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت . فاستسقى صلى الله عليه وسلم لهم فسقوا . فنزلت . (إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون) [سورة الدخان : الآية ١٥] . . قال ابن مسعود رضي الله عنه:أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة ؟ . . فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم ، فأنزل الله عز وجل: (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) [سورة الدخان : الآية ١٦] . . قال:يعني يوم بدر . قال ابن مسعود – رضي الله عنه – فقد مضى خمسة:الدخان ، والروم والقمر ، والبطشة ، واللزام " . . [وهذا الحديث مخرج في الصحيحين

. ورواه الإمام أحمد في مسنده . وهو عند الترمذي والنسائي في تفسيرهما . وعند ابن جرير ، وابن أبي حاتم من طرق متعددة عن الأعمش به] .

وقد وافق ابن مسعود – رضي الله عنه – على تفسير الآية بهذا ، وأن الدخان مضى ، جماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي . وهو اختيار ابن جرير .

وقال آخرون:لم يمض الدخان بعد ، بل هو من أمارات الساعة ، كما ورد في حديث أبي سريحة حذيفة ابن أسيد الغفاري – رضي الله عنه – قال:أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن نتذاكر الساعة ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى ابن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس – أو تحشر – الناس – تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا" . . (١٣٣).

على أن بعض العلماء ذهب إلى الجمع بين هذه الآثار بأنهما دخانان ، ظهرت إحداهما وبقيت الأخري ، وهي التي ستقع في آخر الزمان ، فأما التي ظهرت فهي ما كانت قريش تراه كهيئة الدخان ، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة ، قال القرطبي : " قال مجاهد : كان ابن مسعود يقول : هما دخانان قد مضى أحدهما ، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ، ولا يجد المؤمن منه إلا الزكمة ، وأما الكافر فتثقب مسامعه " (١٣٤) وهذا الرأي هو الذي نرجحه والله أعلم .

٧–طلوع الشمس من مغربها .

وطلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى ، وهو ثابت بالكتاب والسنة ، فالقرآن الكريم يقول : (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) [سورة الأنعام : ١٥٨] ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض

١٣٣ – [تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه]

١٣٤ – التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : صـ ٦٥٥ مرجع سابق .

الآيات المذكورة هو طلوع الشمس من مغربها ، وهو قول أكثر المفسرين.

قال الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ذلك حين تطلع الشمس من مغربها .(١٣٥)

ومن الأحاديث الدالة على طلوع الشمس من مغربها :

ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذاك حين لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)(١٣٦)

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان .....(فذكر الحديث وفيه) وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت آمنوا أجمعون ، فذلك حين لاينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)(١٣٧)

وإذا طلعت الشمس من مغربها ، فإنه لايقبل الإيمان ممن لم يكن قبل ذلك مؤمنا ، كما لاتقبل توبة العاصي ، وذلك لأن طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة ، يراها كل من كان في ذلك الزمان ، فتنكشف لهم الحقائق ، ويشاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتصديق بالله وآياته .

٨– الدابة .

والذي يجب الإيمان به هنا هو أن الله تعالى سيخرج للناس في آخر الزمان دابة من الأرض تكلمهم ، فيكون تكليمها آية لهم دالة على أنهم مستحقون للوعيد بتكذيبهم آيات الله ، فإذا خرجت الدابة فهم الناس ، وعلموا أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة ، وقد كانوا قبل ذلك لا

١٣٥ – تفسير الطبري : جـ ٨ صـ ١٠٣

١٣٦ – صحيح البخاري : كتاب الرقاق –باب طلوع الشمس من مغربها جـ ١١ صـ٣٥٢، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان – باب الزمن الذي لا يقبل فيه الايمان جـ٢ صـ ١٩٤.

١٣٧ – صحيح البخاري : كتاب الفتن جـ ١٣ صـ ٨١، ٨٢

يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون باليوم الموعود (١٣٨) يقول تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) [سورة النمل : الآية ٨٢]

وقد ورد ذكر خروج الدابة المذكورة هنا في أحاديث كثيرة بعضها صحيح ؛ من هذا الصحيح : ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ الله عليه وسلم : (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض)(١٣٩)

ومنها أيضا الحديث الذي سبق ذكره عن حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة الكبرى فذكر منها الدابة ، وفي رواية دابة الأرض .

وليس في هذا الصحيح وصف للدابة . إنما جاء وصفها في روايات لم تبلغ حد الصحة . لذلك نضرب صفحا عن أوصافها ، فما يعني شيئا أن يكون طولها ستين ذراعا ، وأن تكون ذات زغب وريش وحافر ، وأن يكون لها لحية ! وأن يكون رأسها رأس ثور ، وعينها عين خنزير ، وأذنها أذن فيل . وقرنها قرن أيل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لو نمر ، وخاصرتها خاصرة هر ، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير . . . إلخ هذه الأوصاف التي افتن فيها المفسرون !

وحسبنا أن نقف عند النص القرآني والحديث الصحيح الذي يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة ، وأنه إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة ، وحق القول على الباقين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك وإنما يقضى عليهم بما هم عليه . . عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم . والدواب لا تتكلم ، أو لا يفهم عنها الناس . ولكنهم اليوم يفهمون ، ويعلمون أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة . وقد كانوا لا يؤمنون بآيات الله ، ولا يصدقون باليوم الموعود .

ومما يلاحظ أن المشاهد في سورة النمل مشاهد حوار وأحاديث بين طائفة من الحشرات والطير والجن وسليمان عليه السلام . فجاء ذكر الدابة وتكليمها الناس متناسقا مع مشاهد السورة وجوها ، محققا لتناسق التصوير في القرآن ، وتوحيد الجزيئات التي يتألف منها المشهد العام .

---

١٣٨ – انظر في ظلال القرآن : جـ ٥ صـ ٢٦٦٧

١٣٩ – صحيح مسلم : كتاب الإيمان – باب الزمن الذي لايقبل فيه الإيمان –جـ ٢صـ ١٩٥

ويعبر السياق من هذه العلامة الدالة على اقتراب الساعة ، إلى مشهد الحشر !

ولا شك أن هذه الدابة مخالفة لمعهود البشر من الدواب ، ومن ذلك أنها تخاطب الناس وتكلمهم وقد ورد ذكر هذه الدابة في كثير من الأحاديث الصحيحة التي تدل على أنها من أشراط الساعة العظام ، وروى الإمام أحمد في مسنده ، والبخاري في الكبير بلإسناد صحيح عن أبي أمامة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ، ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير فيقول : ممن اشتريته ؟ فيقول : اشتريته من أحد المخطمين)(١٤٠)

٩-النار التي تحشر الناس .

وقد ورد ذكر هذه النار في عدة أحاديث صحيحة ففي رواية للإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال:اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر. فقال : (ما تذاكرون؟) قالوا: نذكر الساعة. قال "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات". فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج. وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم)(١٤١).

وفي رواية له عن حذيفة أيضا : (نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس)(١٤٢)

وروى الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن مسائل ، ومنها : ما أول أشراط الساعة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)(١٤٣)

والجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر أشراط الساعة الكبرى ، وما جاء أنها أول أشراط الساعة : أن آخريتها باعتبار ماذكر معها من

---

١٤٠ – سلسلة الأحاديث الصحيحة : (١/٣١) ورقمه ٣٢٢

١٤١ – صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة جـ ١٨ صـ ٢٧-٢٩

١٤٢ – المرجع السابق : نفس الصفحة .

١٤٣ – صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء – باب خلق آدم وذريته جـ ٦ صـ ٣٦٢

الآيات الواردة في حديث حذيفة ،وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لاشيء بعدها من أمور الدنيا أصلا ، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور ، بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة ، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا (١٤٤)

عند ظهور هذه النار العظيمة تنتشر في الأرض ، وتسوق الناس إلى أرض المحشر ، والذين يحشرون على ثلاثة أفواج :

الأول : فوج راغبون طاعمون كاسون راكبون .

والثاني : فوج يمشون تارة ، ويركبون أخرى ، يعتقبون على البعير الواحد .

والثالث : تحشرهم النار فتحيط بهم من ورائهم ، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر ، ومن تخلف أكلته النار .(١٤٥)

فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين وراهبين ،واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير ، ويحشر بقيتهم النار ، تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا ،وتمسي معهم حيث أمسوا)(١٤٦)

وهذا الحشر يكون في آخر الدنيا حيث ورد فيه ذكر الأكل والشرب ، وركوب الظهر ، وأما حشر الآخرة فإنه قد جاء في الأحاديث أن الناس مؤمنهم وكافرهم يحشرون حفاة عراة غرلا بهما، فدل هذا على أن هذا الحشر يكون في الدنيا قبل يوم القيامة .

---

١٤٤ – انظر فتح الباري : جـ ١٣ صـ ٨٢

١٤٥ – المرجع السابق : جـ ١١ ٣٧٨-٣٧٩ بتصرف بسيط ،وانظر أيضا أشراط الساعة : يوسف الوابل صـ٤٢٠مرجع سابق .

١٤٦ –صحيح البخاري : كتاب الرقاق – باب الحشر جـ١١صـ ٣٧٧ ، وصحيح مسلم : كتاب الجنة و صفة نعيمها –باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة جـ ١٧ صـ ١٩٤، ١٩٥

المبحث الثالث
قواعد يمكن الاستهداء بها في فهم أحاديث الفتن

القاعدة الأولى : من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اخباره بالمغيبات

فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخبار الماضية طبق ما وقع وعن الأخبار الحاضرة سواء بسواء حتى لكأن روحه المجرد الطيّار صلى الله عليه وسلم مزّق قيد الزمان المعين والمكان المشخص فجال في جوانب الماضي والمستقبل، فقال لنا ماشاهده في كل ناحية منهما وبينه لنا.

- فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الأرضة لتلك الصحيفة الظالمة التي كانت بطون قريش قديما كتبتها على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة فأرسل الله الأرضة فأكلتها إلا موضع اسم الله تعالى وفي رواية فأكلت اسم الله منها تنزيها لها أن تكون مع الذي فيها من الظلم والعدوان فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب وهم بالشعب فخرج إليهم أبو طالب وقال لهم عما أخبرهم به فقالوا إن كان كما قال وإلا فسلموه إلينا فقالوا نعم فأنزلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء بسواء فأقلعت بطون قريش عما كانوا عليه لبني هاشم وبني المطلب وهدى الله بذلك خلقا كثيرا وكم له مثلها .
- وفي يوم بدر لما طلب من العباس عمه فداء ادعى أنه لا مال له فقال له فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل تحت أسكفة الباب وقلت لها إن قتلت فهو للصبية فقال والله يا رسول الله إن هذا شيء لم يطلع عليه غيري وغير أم الفضل إلا الله عز وجل .
- وأخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بالحبشة وصلى عليه .
- وأخبر عن قتل الأمراء يوم مؤتة واحدا بعد واحد وهو على المنبر وعيناه تذرفان
- وأخبر عن الكتاب الذي أرسل به حاطب بن بلتعة مع شاكر مولى بني عبد المطلب وأرسل في طلبها عليا والزبير والمقداد فوجدوها قد جعلته في عقاصها وفي رواية في حجزتها .
- وقال لأميري كسرى اللذين بعث بهما نائب اليمن لكسرى ليستعلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربي قد قتل الليلة ربكما فأرخا

تلك الليلة فإذا كسرى قد سلط الله عليه ولده فقتله فأسلما وأسلم نائب اليمن وكان سبب ملك اليمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

- وأما إخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب المستقبلة فكثيرة جدا ، وكما يقول الإمام ابن كثير : هذا باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرتها ولكن نحن نشير إلى طرف منها وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم وذلك منتزع من القرآن ومن الأحاديث أما القرآن :
- فقال تعالى في سورة المزمل وهي *من أوائل ما نزل بمكة* (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) [من الآية ٢٠]ومعلوم أن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة بعد الهجرة .
- وقال تعالى في سورة القمر وهي مكية: (أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) [الآيتان : ٤٤،٤٥]ووقع هذا يوم بدر وقد تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج من العريش ورماهم بقبضة من الحصباء فكان النصر والظفر وهذا مصداق ذاك .
- وقال تعالى : (تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) [سورة المسد] فأخبر أن عمه عبد العزى بن عبد المطلب الملقب بأبي لهب سيدخل النار هو وامرأته فقدر الله عز وجل أنهما ماتا على شركهما لم يسلما حتى ولا ظاهرا وهذا من دلائل النبوة الباهرة.
- وقال تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [سورة الإسراء : الآية ٨٨]،وقال تعالى في سورة البقرة : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) [من الآية:٢٤] فأخبر أن جميع الخليقة لو اجتمعوا وتعاضدوا وتناصروا وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته وحلاوته وإحكام أحكامه وبيان حلاله وحرامه وغير ذلك من وجوه إعجازه لما استطاعوا ذلك ولما قدروا عليه ولا على عشر سور منه بل ولا سورة وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك أبدا ولن لنفي التأبيد في المستقبل

ومثل هذا التحدي وهذا القطع وهذا الاخبار الجازم لا يصدر إلا عن واثق بما يخبر به عالم بما يقوله قاطع أن أحدا لا يمكنه أن يعارضه ولا يأتي بمثل ما جاء به عن ربه عز وجل.

- وقال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) [سورة النور : من الآية٥٥] وهكذا وقع سواء بسواء مكن الله هذا الدين وأظهره وأعلاه ونشره في سائر الآفاق وأنفذه وأمضاه وقد فسر كثير من السلف هذه الآية بخلافة الصديق ولا شك في دخوله فيها ولكن لا تختص به بل تعمه كما تعم غيره .
- كما ثبت في الصحيح إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لننفقن كنوزهما في سبيل الله وقد كان ذلك في زمن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وارضاهم .
- وقدثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا مقاما ما ترك فيه شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله وقد كنت أرى الشيء قد كنت نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه .

•وفي صحيح مسلم من حديث شعبة عن عدي بن ثابت عن عبد الله بن يزيد عن حذيفة قال: (لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكون حتى تقوم الساعة ...) وفي صحيح مسلم من حديث علي بن أحمر عن أبي يزيد عمرو بن أخطب قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة فأعلمنا أحفظنا وفي الحديث الآخر حتى دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

- وفي الصحيحين من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لكم من أنماط قال قلت يا رسول الله وأنى يكون لنا أنماط فقال أما إنها ستكون لكم أنماط قال فأنا أقول لامرأتي نحي عني أنماطك فتقول ألم يقل رسول الله أنها ستكون لكم أنماط فأتركيها.

•وفي الصحيحين والمسانيد والسنن وغيرها من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن سفيان بن أبي زهير قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم تفتح اليمن فيأتي قوم يبثون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

- وكذا حديث المواقيت لأهل الشام واليمن وهو في الصحيحين وعند مسلم ميقات أهل العراق
- في صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن شماسة عن أبي زر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما فاذا رأيت رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها قال فمر بربيعة وعبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة يختصمان في موضع لبنة فخرج منها يعني ديار مصر على يدي عمرو بن العاص في سنة عشرين ، وروى ابن وهب عن مالك والليث عن الزهري عن ابن لكعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فان لهم ذمة ورحما رواه البيهقي من حديث إسحق بن راشد عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه .

كل هذا وغيره كثير وكثير من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو حق لا شك فيه ،ونحن نؤمن به أنه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ، ولكنها ليست وظيفته ، ولا رسالته ، فليس رسول الله صلى الله عليه وسلم عرافا يتنبأ بنبوءات قد تصدق وقد تكذب كما هو الحال في تنبؤات نوسترادموس العراف الغربي الذي فتن به الغرب !!! لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب رسالة عظمى لسعادة البشرية جميعا في الدنيا ، وفلاحها في الآخرة ، ومقصود هذه الإخبارات هي فقط التدليل على نبوته صلى الله عليه وسلم، (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) [سورة المدثر : جزء من الآية ٣١]، فإذا استيقنوا وازدادوا إيمانا كان هذا دافعا لهم إلى الإيمان بنبوته والتصديق بشريعته ، والعمل على إعلاء رايته ، وتحكيم منهجه .

والأمور الغيبية التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست سواء فقسم منها علمها صلى الله عليه وسلم تفصيلا ، فلا تصرف ولا تدخل قط في هذا القسم ، كالقرآن الكريم ومحكمات الأحاديث ، وقسم آخر علمه إجمالا ، وترك أمر تصويرها وتفصيلها إلى اجتهاده صلى الله عليه وسلم كالأحاديث التي تدور حول الحوادث الكونية ، والأحاديث المستقبلية

التي هي ليست من أسس الإيمان ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يصور ويفصل ببلاغته بأساليب التشبيه والتمثيل .

هذه التشبيهات والتمثيلات البلاغية تؤخذ كحقائق مادية ، إما بمرور الزمن ، أو بانتقالها من يد العلم إلى يد الجهل فيقع الناس في الخطأ من حسبان تلك التشبيهات حقائق مادية .

فمثلا حينما سمع صوت في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا صوت حجر يهوي في جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى إلى قعرها ، فالذي يسمع بهذا الحديث ولم تتبين له الحقيقة ينكره فيزيغ ، ولكن إذا علم ما هو ثابت قطعا أنه بعد فترة وجيزة جاء أحدهم فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المنافق الفلاني المشهور قد مات قبل هنيهة ، عندئذ يتيقن الإنسان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد صور ببلاغته النبوية الفائقة ذلك المنافق الذي دخل السبعين من عمره كحجر يتدحرج إلى قعر جهنم ، حيث أن حياته كلها سقوط إلى الكفر ، وترد إلى أسفل سافلين ، وقد أسمع الله سبحانه ذلك الصوت في لحظة موت المنافق ، وجعله علامة عليه .

وروي أيضا عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم من سفر ، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب فزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بعثت هذه الريح لموت منافق ، فلما قدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد ولد.(١٤٧) حقيقة المثل في الخوارق الكونية ما أورده الإمام أحمد بن حنبل عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ضاف ضيف رجلا من بني إسرائيل وفي داره كلبة مجحٌ فقالت الكلبة : والله لا أنبح ضيف أهلي . فعوى جروها في بطنها ، قال : قيل ما هذا ؟ فأوحى الله إلى رجل منهم : هذا مثل أمة تكون من بعدكم يقهر سفهاؤها أحلامها) (١٤٨)

ثم إن بعض من شرحوا هذه الأحاديث وفسروها قد أدمجوا استنباطاتهم ، واجتهاداتهم الشخصية ، مع متن الحديث كتفسيرهم وقائع المهدي ، وأحداث الدجال، وأوصاف الدابة ، وتعيين أماكن الأحداث التي

١٤٧ – النورسي : المكتوبات صـ ٣٨٩ طبعة سوزلر للنشر – القاهرة .والحديثان رواهما الإمام مسلم في صحيحه .

١٤٨ – رواه أحمد في المسند وصححه الشيخ أحمد شاكر

تقع حول الشام والبصرة والكوفة حسب تصورهم إذ كانت تلك المدن تقع حول مركز الخلافة يومئذ في المدينة المنورة والشام .

القاعدة الثانية : لا يعلم موعد الساعة إلا الله

يقول ابن خلدون إن الرغبة في معرفة المستقبل مغروزة في فطرة الانسان ، لذا فمن طبيعة الإنسان الشوق لمعرفة العمر المتبقى للدنيا (١٤٩) ، لكن من عقيدتنا نحن المسلمين أيضا التي ورد القرآن بالتأكيد عليها عدم العلم بوقت الساعة متى هو فان ذلك من مفاتح الغيب التي لا يعلمها الا الله عز وجل ، قال تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) [سورة الأ نعام : من الآية ٥٩]، وقال تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تاتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون) [سورة الاعراف : الآية١٨٧] ، فهذه الآية وغيرها سؤال وجواب ، فالسؤال عن الساعة من حيث إرساؤها ومنتهى أمرها ، والجواب رد ذلك إلى الرب مضافا إلى ضمير رسوله (قل إنما علمها عند ربي) وفيه إيذان بأن ما هو من شأن الرب ، لا يكون للعبد ، فهو تعالى قد رباه ليكون منذرا ومبشرا ، لا للإخبار عن الغيوب بأعيانها وأوقاتها ،والإنذار إنما يناط بالساعة وأهوالها ، والنار وسلاسلها وأغلالها ، ولا تتم الفائدة إلا بإبهام وقتها ، ليخشى أهل كل زمان اتيانها فيه ، والإعلام بوقت اتيانها وتحديد تاريخها ينافي هذه الفائدة بل فيه مفاسد أخرى، فلو قال الرسول للناس إن الساعة تأتي بعد ألفي سنة من يومنا هذا مثلا – وألفا سنة في تاريخ العالم وآلاف السنين تعد أجلا قريبا – لرأى المكذبين يستهترون بهذالخبر ويلحون في تكذيبه، والمرتابون يزدادون ارتيابا ، حتى إذا ما قرب الأجل وقع المؤمنون في رعب عظيم ينغص عليهم حياتهم ، ويوقع الشلل في أعضائهم ، والتشنج في أعصابهم، حتى لا يستطيعون عملا ، ولا يستسيغون طعاما ولا شرابا ، ومنهم من يخرج من ماله وما يملكه ، من حيث يكون الكافرون آمنين يسخرون من المؤمنين ، وقد وقع في أوروبا أن أخبر بعض رجال الكنيسة الذين كان يقلدهم الجمهور بأن القيامة ستقوم في سنة كذا ، فهلعت القلوب ،واختلت الأعمال ، وأهمل أمر العيال ، ووقف المصدقون ما

١٤٩ – ابن خلدون : المقدمة – الجزء الثاني صـ ٨٢١

يملكون على الكنائس والأديرة ، ولم تهدأ النفوس ويثوب إليها رشدها إلا بعد ظهور كذب النبأ بمجيء أجله دون وقوعه فالحكمة البالغة إذا هي في إيهام أمر الساعة .([١٥٠])

ولذلك نجد التعبير القرآني في كثير من آياته بأنها تأتي بغتة ، وأن علمها مما استأثر الله به، قال تعالى : (بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) [الأنبياء ٤٠] ، أي لا تأتيكم إلا فجأة على حين غفلة من غير توقع ولا انتظار ، وقد تكرر هذا القول في التنزيل ، وجاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين واللفظ للبخاري : (ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يبيعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته [ناقته] فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه [يبنيه أو يرممه] فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها) والمعنى أنها تبغت الناس وهم منهمكون في أمور معايشهم المعتادة ، وأبلغ من هذا قوله تعالى في أول سورة الحج (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)

ولحكمة كبيرة كما قلنا حجب الله أمورا غيبية كالأجل والموت ، وقيام الساعة، التي هي موت الدنيا ، وأجل البشرية ،وقد أخفي كلا منهما لمصالح كثيرة : إذ لو كان الأجل معينا وقته لاختلت الموازنة بين الخوف والرجاء ، تلك الموازنة المبنية على مصالح وحكم ، إذ كان نصف العمر يمضي في غفلة مطبقة يعقبه خوف رهيب في النصف الثاني كمن يساق خطوة خطوة نحو المشنقة .

وأجل الدنيا وسكراتها أي القيامة يشبه هذا تماما ، إذ لو كان وقتها معينا لكانت القرون الأولى والوسطى غير متأثرة بفكرة الآخرة إلا قليلا ، ولا ينفعل بها إلا جزئيا ، أما القرون الأخرى فكانت تعيش في رعب مستديم ، وما كانت لتبقى حينئذ للحياة متعة وقيمة ، ولا للعبادة التي هي طاعة الفرد باختياره ضمن الخوف والرجاء أهمية وحكمة .

وهكذا أخفيت الأمور الغيبية لأجل مصالح كثيرة أمثال هذه ، فصار الإنسان يتوقع مجيء أجله كل دقيقة مثلما يتوقع بقاءه فيها ويفكر

---

[١٥٠] – تفسير القرآن الحكيم : الشيخ محمد رشيد رضا جـ ٩ صـ ٤٢٨، ٤٢٩ بتصرف يسير

فيهما معا ، ويسعى بجد للدنيا سعيه للآخرة ، ومثلما يتوقع قيام الساعة في كل عصر ، يتوقع دوام الدنيا فيه أيضا ، ومن هنا غدا الانسان متمكنا من العمل للحياة الأبدية ، وهو ينظر في فناء الدنيا ، ويعمل في الوقت نفسه لعمارة الدنيا وكأنه يعيش أبدا ([١٥١])

يقول الأستاذ/ سيد قطب : " والمجهول عنصر أساسي في حياة البشر ، وفي تكوينهم النفسي ، فلا بد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه ، ولو كان كل شيء مكشوفا لهم – وهم بهذه الفطرة –لوقف نشاطهم ، وأسنت حياتهم ، فوراء المجهول يجرون ، فيحذرون ، ويأملون ، ويجربون ، ويتعلمون ، ويكشفون المخبوء من طاقاتهم ، وطاقات الكون من حولهم ، وتعليق قلوبهم ومشاعرهم بالساعة المجهولة الموعد يحفظهم من الشرود ، فهم لا يدرون متى تأتي الساعة ، فهم من موعدها على حذر دائم ، وعلى استعداد دائم ، ذلك لمن صحت فطرته واستقام ، فأما من فسدت فطرته ، واتبع هواه فيغفل ويجهل ، فيسقط ومصيره إلى الردى " ([١٥٢])

والآيات في هذا المعنى كثيرة منها مثلا :قال تعالي : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) [سورة لقمان: من الآية ٣٤] وقال تعالى : (إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) [سورة فصلت:من الآية ٤٧] وقال تعالى : (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) [سورة الاحقاف: الآية ٣٥] وقال تعالى : (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) [سورة الاحزاب: من الآية ٦٣] وقال تعالي : (وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد) [سورة الشورى: الآيتان ١٧، ١٨]وقال تعالى: (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون)[سورة الملك الآيات:٢٥ –٢٧] وقال تعالي : (يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذاكرها الى ربك منتهاها انما انت منذر

---

[١٥١] – الإمام النورسي : الشعاعات – الشعاع الخامس صـ١٠٥-١٠٧ بإيجاز

[١٥٢] – اليوم الآخر في ظلال القرآن: جمع وإعداد / أحمد فائز صـ ٩٨ طبعة مؤسسة الرسالة – دمشق– الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها) [سورة النازعات : الآيات٤٢- ٤٦] وغيرها من الآيات .

وفي الأحاديث أيضا التأكيد على أن الساعة لايعلمها إلا الله :

ففي حديث جبريل المشهور قوله عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل الحديث

وروى الامام احمد في مسنده عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس لا يعلمها الا الله عز وجل ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير.

وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة وفي الصحيحين أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فناداه بصوت جهوري فقال يا محمد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هاؤم على نحو ما صوته قال يا محمد متى الساعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك إن الساعة آتيه فما أعددت لها قال ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولكني احب الله ورسوله فقال له رسول الله المرء مع من احب فما فرح المسلمون بشئ فرحهم بهذا الحديث ،ففيه انه عليه الصلاة والسلام كان اذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون الى علمه ارشدهم الى ما هو الاهم في حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له قبل نزوله وان لم يعرفوا تعيين وقته.

ولمسلم عن عائشه رضي الله عنها قالت كانت الاعراب اذا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الساعة متى الساعة فينظر الى احدث انسان منهم فيقول ان يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم يعني بذلك موتهم الذي يفضي بهم الي الحصول في برزخ الدار الاخرة وله عن انس رضي الله عنه ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يعش هذا الغلام فعسى ان لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة وفي رواية أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال متى الساعة فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيهة ثم نظر الى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال ان عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة قال انس ذلك الغلام من أترابي وفي رواية عن انس قال : مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من اترابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم السلعة

وفي صحيح البخاري عن انس رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة قال ويلك وما أعددت لها قال ما أعددت لها إلا إني احب الله ورسوله قال انك مع من أحببت فقلنا ونحن كذلك قال نعم ففرحنا يومئذ فرحا شديدا فمر غلام للمغيرة وكان من اقراني فقال ان اخر هذا فلن يدركه الهرم حتي تقوم الساعة ، وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يموت بشهر تسألون عن الساعة وانما علمها عند الله واقسم بالله ما على وجه ظهر الارض اليوم من نفس منفوسة تاتي عليها مائة سنة رواه مسلم([١٥٣])

يقول الإمام ابن كثير : (فهذا النبي الأمي ، سيد الرسل ، وخاتمهم ، صلوات الله وسلامه عليه، نبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، والعاقب ، والمقفى ، والحاشر ، الذي تحشر الناس على قدميه ، ... قد أمره الله تعالى أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سأل عنها فقال : (قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [سورة الأعراف :من الآية ١٨٧] ، ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم متى تقوم الساعة فهو جاهل ، لأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ترد عليه.([١٥٤])

وما ورد في الأحاديث من قرب قيام الساعة حق مقتبس من القرآن ، والقرب والبعد من الأمور النسبية والمراد قربها بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا ولا يعلمه إلا الله .

أما بعض الآثار التي تتحدث عن أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فقد بين العلماء أنها مختلقة ، ومأخوذة من الإسرائيليات التي كان يبثها زنادقة اليهود والفرس في المسلمين ، وقد اغتر بها بعض العلماء حتى استنبط منها ما بقي من عمر الدنيا ، والعجيب ممن ينبشون في هذا الذي فند وبدد ، ونال من النقد والنقض ما يفيض عليه ، العجب منهم ينقلون كلام السيوطي مثلا ، ويتجاهلون نقد الحافظ ابن حجر مثلا لهذه الروايات وانظر مثلا ماذا يقول بعض العلماء عن هذه الروايات : يقول الإمام المناوي في فيض القدير، شرح الجامع الصغير للإمام السيوطي في الجزء الثالث.، في تعقيبه على حديث (الدنيا سبعة آلاف سنة)

---

١٥٣ - معارج القبول : جـ ٢صـ٢٨٥ ، ٢٨٦ بتصرف يسير .

١٥٤ - تفسير ابن كثير : جـ ٣ صـ ٥٢٦ طبعة دار الشعب القاهرة .

وهذا الحديث لا مسكة فيه فقد ذكر ابن الأثير في منال الطلب أن ألفاظه مصنوعة ملفقة وهو متداول بين رواة الحديث وأئمته وذكر بعض الحفاظ أنه موضوع ولما ذكره أبو الفرج في العلل وصف بعض رواته بالوضع وقال الذهبي: قد جاءت النصوص في فناء هذه الدار وأهلها ونسف الجبال وذلك تواتره قطعي لا محيد عنه ولا يعلم متى ذلك إلا الله فمن زعم أنه يعلمه بحساب أو بشيء من علم الحرف أو بكشف أو بنحو ذلك فهو ضال مضل.

ويقول الإمام ابن كثير بعد أن سرد الروايات التي تتحدث عن أعمار الأمم – والتي يغلب عليها الضعف – وهذا كله يدل على أن ما بقي بالنسبة إلى ما مضي شيء يسير ، لكن لا يعلم مقدار ما مضى إلا الله تعالى ، ولم يجئ فيه تحديد يصح سنده عن المعصوم حتى يصار إليه ، ويعلم نسبة ما بقي بالنسبة إليه ، ولكنه قليل جدا بالنسبة إلى ما مضى ، وتعيين وقت الساعة لم يأت به حديث صحيح بل الآيات ، والأحاديث دالة على أن علم ذلك مما استأثر الله تعالى به دون أحد من خلقه([١٥٥])

ويقول أيضا : تحت عنوان [لا صحة للإسرائيليات التي تحدد ما مضي وما بقي] يقول: كما لايعلم مقدار ما مضى إلا الله عز وجل ، والذي في كتب الاسرائيلين ،وأهل الكتاب من تحديد ما سلف بألوف ومئات السنين قد نص غير واحد من العلماء على تخبطهم فيه ، وتغليطهم وهم جديرون بذلك حقيقون به وقد ورد في حديث : الدنيا جمعة من جمع الآخرة ولا يصح إسناده أيضا ، وكذلك كل حديث ورد فيه تحديد وقت يوم القيامة على التعيين لا يثبت إسناده.([١٥٦])

ويقول الإمام ابن القيم : (وقد جاهر بالكذب بعض من يدعي في زماننا العلم ، وهو يتشبع بما لم يعط ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم متى تقوم الساعة ، وهذا من أعظم الجهل وأقبح التحريف .) ([١٥٧])

ويقول الإمام القرطبي : (إن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن والكوارث أن ذلك يكون ، وتعيين الزمان في سنة كذا ، يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر ، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة ، فلا يعلم أحد

---

[١٥٥] – النهاية : جـ٨ صـ١٤١ مرجع سابق .

[١٥٦] – المرجع السابق : صـ١٧

[١٥٧] – المنار المنيف في الصحيح والضعيف : الإمام ابن القيم صـ٨١-٨٢ تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ،طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية _ جمعية التعليم الشرعي – حلب ١٣٩٠هـ

أي سنة هي ، ولا أي شهر ، أما إنها تكون في يوم الجمعة في آخر ساعة منه ، وهي الساعة التي خلق فيها آدم عليها السلام ، ولكن أي جمعة ، لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له ، وكذلك ما يكون من الأشراط تعيين الزمان لهذا لا يعلم ، والله أعلم.) ([١٥٨])

ويقول الإمام ابن حزم : (وأما نحن – يعني المسلمين – فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ، ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة ، أو أكثر أو أقل فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظة تصح ، بل صح عنه صلى الله عليه وسلم خلافه ، بل نقطع أن للدنيا أمدا لا يعلمه إلا الله تعالى)

فالحديث عن عمر أمة الإسلام ، وقرب نهايته وتحديد ذلك في بعض الكتب كما ترى لا أصل له، ولا يجوز أن نتلقف بعض الروايات الضعيفة ، بل والمكذوبة والمردودة ، وأقوال أهل الكتاب لنوهم الناس أن النهاية وشيكة وما هي إلا سنوات معدودة ، وتأتي العلامات الكبري وتتابع ، وتنتهي الدنيا ، وتقوم الساعة ، فلا يعلم متى تقع هذه الأشراط إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله .

ومن العجيب والغريب أن يستشهد بعض العلماء على موعد الساعة ، بقوله تعالى : (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) فيقول إن الساعة ستقوم في سنة ١٤٠٧ لأن عدد حروف كلمة بغتة بحساب علم الحرف يساوي ١٤٠٧ ([١٥٩]) وهذه طبعا كلها مظنونات وأوهام ، لاتستحق حتى أن تذكر ، ولكن ذكرتها لك لترى كيف وصل الحال بنا حينما نتكلم عن واحد من الأمور الواضحات .

يقول الإمام ابن حجر في التعليق على حديث : (بعثت أنا والساعة كهاتين) قال عياض وغيره: أشار بهذا الحديث على اختلاف

---

[١٥٨] –التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : الإمام القرطبي صـ ٦٢٨ نشر المكتبة السلفية المدينة المنورة .

[١٥٩] – من المعروف في مايسمى بعلم الحرف عند المشارقة أن حرف الباء = ٢ ، وحرف الغين = ١٠٠٠ ، وحرف التاء =٤٠٠ ، وحرف الهاء = ٥ فالمجموع على حسابهم = ١٤٠٧ وبالطبع فعلى هذا الحساب ملاحظات ليس هذا مكان ذكرها ويكفي أن نورد فقط قول الحافظ ابن حجر في التعليق على بعض من استخدمها في حساب عمر الدنيا: فالحمل على ذلك من هذه الحيثية باطل، وقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عد أبى جاد والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد فإنه لا أصل له فى الشريعة. .

ألفاظه إلى قلة المدة بينه وبين الساعة، والتفاوت إما فى المجاورة وإما فى قدر ما بينهما، ويعضده قوله"كفضل أحدهما على الأخرى"وقال بعضهم: هذا الذى يتجه أن يقال، ولو كان المراد الأول لقامت الساعة لاتصال إحدى الأصبعين بالأخرى قال ابن التين: اختلف فى معنى قوله"كهاتين"فقيل كما بين السبابة والوسطى فى الطول، وقيل المعنى ليس بينه وبينها نبى. وقال القرطبى فى"المفهم"حاصل الحديث تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها، قال وعلى رواية النصب يكون التشبيه وقع بالانضمام، وعلى الرفع وقع بالتفاوت. وقال البيضاوى: معناه أن نسبة تقدم البعثة النبوية على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الأصبعين على الأخرى، وقيل المراد استمرار دعوته لا تفترق إحداهما عن الأخرى، كما أن الأصبعين لا تفترق إحداهما عن الأخرى. ورجح الطيبى قول البيضاوى بزيادة المستورد فيه. وقال القرطبى فى"التذكرة ": معنى هذا الحديث تقريب أمر الساعة. ولا منافاة بينه وبين قوله فى الحديث الآخر " ما المسئول عنها بأعلم من السائل" فإن المراد بحديث الباب أنه ليس بينه وبين الساعة نبى كما ليس بين السبابة والوسطى أصبع أخرى، ولا يلزم من ذلك علم وقتها بعينه لكن سياقه يفيد قربها وأن أشراطها متتابعة كما قال تعالى {فقد جاء أشراطها} قال الضحاك: أول أشراطها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم. والحكمة فى تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد. وقال الكرمانى: قيل معناه الإشارة إلى قرب المجاورة، وقيل إلى تفاوت ما بينهما طولا، وعلى هذا فالنظر فى القول الأول إلى العرض، وقيل المراد ليس بينهما واسطة، ولا معارضة بين هذا وبين قوله تعالى {إن الله عنده علم الساعة} ونحو ذلك لأن علم قربها لا يستلزم علم وقت مجيئها معينا، وقيل معنى الحديث أنه ليس بينى وبين القيامة شيء، هى التى تلينى كما تلى السبابة الوسطى، وعلى هذا فلا تنافى بين ما دل عليه الحديث وبين قوله تعالى عن الساعة {لا يعلمها إلا هو} وقال عياض: حاول بعضهم فى تأويله أن نسبة ما بين الأصبعين كنسبة ما بقى من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى وأن جملتها سبعة آلاف سنة، واستند إلى أخبار لا تصح. وذكر ما أخرجه أبو داود فى تأخير هذه الأمة نصف يوم وفسره بخمسمائة سنة، فيؤخذ من ذلك أن الذى يقى نصف سبع وهو قريب مما بين السبابة والوسطى فى الطول، قال: وقد ظهر عدم صحة ذلك لوقوع خلافه ومجاوزة هذا المقدار ولو كان ذلك ثابتا لم يقع خلافه. قلت: وقد انضاف إلى ذلك منذ عهد عياض إلى هذا الحين ثلاثمائة

سنة. وقال ابن العربى: قيل الوسطى تزيد على السبابة نصف سبعها، وكذلك الباقى الدنيا من البعثة إلى قيام الساعة. قال: وهذا بعيد ولا يعلم مقدار الدنيا فكيف يتحصل لنا نصف سبع أمد مجهول، فالصواب الإعراض عن ذلك

قلت: السابق إلى ذلك أبو جعفر بن جرير الطبرى فإنه أورد فى مقدمة تاريخه عن ابن عباس قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة، وقد مضى ستة آلاف ومائة سنة، وأورده من طريق يحيى بن يعقوب عن حماد بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير عنه. ويحيى هو أبو طالب القاص الأنصارى، قال البخارى: منكر الحديث، وشيخه هو فقيه الكوفة وفيه مقال. ثم أورد الطبرى عن كعب الأحبار قال: الدنيا ستة آلاف سنة. وعن وهب بن منبه مثله وزاد أن الذى مضى منها خمسة آلاف وستمائة سنة، ثم زيفهما ورجح ما جاء عن ابن عباس. ثم أورد حديث ابن عمر الذى فى الصحيحين مرفوعا"ما أجلكم فى أجل من كان قبلكم إلا من صلاة العصر إلى مغرب الشمس" ومن طريق مغيرة بن حكيم عن ابن عمر بلفظ" ما بقى لأمتى من الدنيا إلا كمقدار إذا صليت العصر"ومن طريق مجاهد عن ابن عمر " كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم والشمس على قعيقعان مرتفعة بعد العصر فقال: ما أعماركم فى أعمار من مضى إلا كما بقى من هذا النهار فيما مضى منه" وهو عند أحمد أيضا بسند حسن. ثم أورد حديث أنس"خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وقد كادت الشمس تغيب " فذكر نحو الحديث الأول عن ابن عمر، ومن حديث أبى سعيد بمعناه قال عند غروب الشمس"إن مثل ما بقى من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه " وحديث أبى سعيد أخرجه أيضا وفيه على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وحديث أنس أخرجه أيضا وفيه موسى بن خلف، ثم جمع بينهما بما حاصله أنه حمل قوله"بعد صلاة العصر"على ما إذا صليت فى وسط من وقتها. قلت: وهو بعيد من لفظ أنس وأبى سعيد، وحديث ابن عمر صحيح متفق عليه فالصواب الاعتماد عليه، وله محملان أحدهما أن المراد بالتشبيه التقريب ولا يراد حقيقة المقدار فيه يجتمع مع حديث أنس وأبى سعيد على تقدير ثبوتهما، والثانى أن يحمل على ظاهره فيقدم حديث ابن عمر لصحته ويكون فيه دلالة على أن مدة هذه الأمة قدر خمس النهار تقريبا. ثم أيد الطبرى كلامه بحديث الباب وبحديث أبى ثعلبه الذى أخرجه أبو داود وصححه الحاكم ولفظه"والله لا تعجز هذه الأمة من نصف

يوم"ورواته ثقات ولكن رجح البخارى وقفه، وعند أبى داود أيضا من حديث سعد بن أبى وقاص بلفظ"إنى لأرجو أن لا تعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم، قيل لسعد: كم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة " ورواته موثقون إلا أن فيها انقطاعا. قال الطبرى: ونصف اليوم خمسمائة سنة أخذا من قوله تعالى {وإن يوما عند ربك كألف سنة} فإذا انضم إلى قول ابن عباس إن الدنيا سبعة آلاف سنة توافقت الأخبار، فيكون الماضى إلى وقت الحديث المذكور ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة تقريبا. وقد أورد السهيلى كلام الطبرى وأيده بما وقع عنده فى حديث المستورد، وأكده بحديث زمل رفعه"الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها". قلت وهذا الحديث إنما هو عن ابن زمل وسنده ضعيف جدا أخرجه ابن السكن فى" الصحابة"وقال إسناده مجهول، وليس بمعروف فى الصحابة، وابن قتيبة فى"غريب الحديث"وذكره فى الصحابة أيضا ابن منده وغيره وسماه بعضهم عبد الله وبعضهم الضحاك، وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات. وقال ابن الأثير: ألفاظه مصنوعة. ثم بين السهيلى أنه ليس فى حديث نصف يوم ما ينفى الزيادة على الخمسمائة، قال: وقد جاء بيان ذلك فيما رواه جعفر بن عبد الواحد بلفظ"إن أحسنت أمتى فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وذلك ألف سنة، وإن أساءت فنصف يوم"قال وليس فى قوله"بعثت أنا والساعة كهاتين"ما يقطع به على صحة التأويل الماضى، بل قد قيل فى تأويله إنه ليس بينه وبين الساعة نبى مع التقريب لمجيئها. ....، وفى الجملة فأقوى ما يعتمد فى ذلك عليه حديث ابن عمر الذى أشرت إليه قبل، وقد أخرج معمر فى الجامع عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال معمر: وبلغنى عن عكرمة فى قوله تعالى (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال: الدنيا من أولها إلى آخرها يوم مقداره خمسون ألف سنة لا يدرى كم مضى ولا كم بقى إلا الله تعالى، وقد حمل بعض شراح" المصابيح " حديث"لن تعجز هذه الأمة أن يؤخرها نصف يوم"على حال يوم القيامة وزيفه الطيبى فأصاب، وأما زيادة جعفر فهى موضوعة لأنها لا تعرف إلا من جهته وهو مشهور بوضع الحديث وقد كذبه الأئمة مع أنه لم يسق سنده بذلك، فالعجب من السهيلى كيف سكت عنه مع معرفته بحاله. والله المستعان.([١٦٠])

---

[١٦٠] – الحافظ ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ صـ

والخلاصة أننا نقول : إن علم الساعة عند الله ، لأنه (لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) [سورة النمل :من الآية ٦٥] ، والذين يبحثون في هذا الأمر ، ويزعمون أن الساعة ستقع في عام بعينه ، تقول على الله بغير علم ، والخائضون في ذلك مخالفون للمنهج القرآني النبوي الذي وجه الناس إلى ترك البحث في هذا الموضوع ، والذين يبحثون في هذا المجال يظنون أنهم يمكنهم أن يعلموا ما لم يعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجبريل عليه السلام ، وكفى بذلك واعظا لمن كان له قلب ،أو ألقى السمع وهو شهيد ، ونحن نقول لهم : ينبغى أن يسعكم ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه وأئمة هذه الأمة على مدار التاريخ ، ولو كان في معرفة الوقت صلاح وخير للبشر ، لأخبر الله به البشر ، ولكنه حجب ذلك عنهم ، وفي ذلك صلاحهم .([١٦١])

وينبغي للاحقين أن يتعظوا بحال السابقين ، فبعض السابقين خاض في هذا الأمر ، وحدد للساعة أو بعض أشراطها القريبة من وقوعها أجلا ، وجاء الأجل الذي ضربه ، ولم يحدث من ذلك شيء ، لا الساعة ولا أشراطها المحددة ، فمن هؤلاء كما أسلفنا الإمام الطبري رحمه الله وغفر له ، فإنه استظهر من بعض النصوص أن فناء الدنيا يكون بعد خمسمائة عام من البعثة المحمدية ، وهاهو قد مر قرابة ألف عام ، على الأجل الذي ضربه ، ولم يصدق ظنه .

ومن هؤلاء أيضا الإمام السيوطي ، وله رسالة في ذلك ، وقد استظهر أن الساعة ستقوم على رأس المائة الخامسة بعد الألف من البعثة النبوية ، وها قد مضى على الموعد الذي حدده سنين ، ولم تقع الساعة ، بل لم يقع كثير من أشراطها .([١٦٢])

فللساعة موعدها الذي لا يعلمه إلا الله ، وللساعة أماراتها الكبرى التي لايعلم إلا الله متى تبدأ ، والتحديد والقطع جرأة على الغيب ، نربأ بأنفسنا عنه ونبرأ إلى الله منه خاصة إذا تعلق بعلم الساعة التي (علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو) [سورةالأعراف :من الآية ١٨٧] ، أما تحقق أماراتها الصغرى كلها في عصرنا فأمر يدور بين الظن الراجح والظن المرجوح.

---

[١٦١] – القيامة الصغرى : د/ عمر الأشقر صـ ١٢١، ١٢٢ .

[١٦٢] – المرجع السابق : ١٢٢،١٢٣ بتصرف يسير .

القاعدة الثالثة :

كل حديث مشكل المتن ، أو مضطرب الرواية ، أو مخالف لسنن الله تعالى في الخلق ، أو مخالف لأصول الدين أو نصوصه القطعية ، أو للحسيات ، أو البدهيات العقلية والأوليات فهو مظنة لأن يكون من محكيات بعض الرواة عن بني اسرائيل من توراتهم المحرفة ، ولا يصح أن ينسب ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولتنتبه إلى هذه الأسماء التي يكثر إيراد أحاديث الفتن عنها وخاصة إذا كان الحديث فيه شيء مما سبق ذكره ، " فقد أسلم بعض أهل الكتاب مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وتميم الداري ، وأمثالهم ، وقد حمل هؤلاء الكثير من المرويات المكذوبة ، والخرافات الباطلة ،الموجودة في التوراة وشروحها ، وكتبهم القديمة التي تلقوها عن أحبارهم ورهبانهم جيلا بعد جيل ، وخلفا عن سلف ، ولم تكن هذه الإسرائيليات والمرويات مما يتعلق بأصول الدين ، والحلال والحرام ، وهي التي جرى العلماء من الصحابة والتابعين ، فمن بعدهم على التثبت منها ، والتحري عن رواتها ، وإنما كانت تتعلق بالقصص ، وأخبار الأمم الماضية ، والملاحم ، والفتن ، وبدء الخلق ، وأسرار الكون ، وأحوال يوم القيامة "[١٦٣]

وقد نبه على هذا من المتقدمين الإمام ابن تيمية ، والعلامة ابن كثير ، والعلامة ابن خلدون ، ومن المحدثين الشيخ رشيد رضا ، والدكتور محمد أبو شهبة وغيرهم : وخلاصة مانبه عليه هؤلاء الأعلام كما يقول الدكتور أبو شهبة رحمه الله – وننقل هنا نص كلامه بطوله لأهميته في هذا الباب – يقول : (إن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ،وإنما غلبت عليهم البداوة ، والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات ، وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، فإنما يسألون أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى ، وأهل الكتاب الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير، الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ماكان عندهم – مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها – مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع إلى الحدثان [الأحداث]

[١٦٣] –الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : الشيخ الدكتور / محمد بن محمد أبو شهبة صـ٩١ بتصرف يسير طبعة مكتبة السنة– الرابعة١٤٠٨هـ

والملاحم وأمثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وأمثالهم ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم ، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام، فتتحرى فيه الصحة التي يجب بها العمل ، ويتساهل المفسرون في مثل ذلك ،وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ، إلا أنهم بعد صيتهم، وعظمت أقدارهم ، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ)[١٦٤]

ولو أن هذه الاسرائيليات – ولا سيما المكذوب والباطل منها – وقف بها عند قائليها ، لكان الأمر محتملا بعض الشيء ، ولكن الشناعة وكبر الإثم : أن بعض الزنادقة والوضاعين ، وضعفاء الإيمان ، قد رفعوا هذه الاسرائيليات إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ونسبوها إليه صراحة ، وهنا يكون الضرر الفاحش ، والجناية الكبرى على الإسلام ، والتجنى الآثم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن نسبة الغلط ، أو الخطأ أو الكذب إلى الراوي – أيا كان – أهون بكثير من نسبة ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم .

وإن ما اشتملت عليه بعض الاسرائيليات من الخرافات ، والأباطيل ليصد أي انسان مهما بلغ من التسامح في هذا العصر ، الذي نعيشه عن الدخول في الإسلام ويحمله على أن ينظر إليه نظرة الشك والارتياب .

ولو أن هذه الأسرائيليات جاءت مروية صراحة عن كعب الأحبار أووهب بن منبه،أو عبدالله بن سلام،وأضرابهم، لدلت بعزوها اليهم أنها مما حملوه،وتلقوه عن كتبهم ،ورؤسائهم قبل إسلامهم ،ثم لم يزالوا يذكرونه بعد اسلامهم وأنها ليست مما تلقوه عن النبي أو الصحابة ولكانت تشير بنسبتها اليهم الى مصدرها، ومن أين جائت وأن الرواية الاسلامية بريئة منها.

ولكن بعض هذه الاسرائيليات ــ بل الكثير منها – جاء موقوفا على الصحابة ومنسوبا اليهم ــ رضي الله عنهم ــ فيظن من لا يعلم حقيقة الأمر ومن ليس من أهل العلم بالحديث أنها متلقاة عن النبي ـصلى الله

[١٦٤] –المرجع السابق : صـ ٩٣ نقلا عن ابن خلدون : المقدمة صـ٣٦٨ طبعة الأزهرية .

عليه وسلم _ لأنها من الأمور التي لا مجال للرأي فيها فلها حكم المرفوع الى النبي وان لم تكن مرفوعة صراحة.

وقد كان أئمة علم أصول الحديث والرواية ، أبعد نظرا، وأصل تفكيرا وأوسع اطلاعا وأدق فى تقعيدهم لقواعد النقد فى الرواية حينما قالو: ان الموقوف على الصحابة يكون له حكم المرفوع الى النبي بشرطين:

١- ان يكون مما لا مجال للرأي فيه .

٢- أن لا يكون روايه معروفا بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا وبرواية الإسرائيليات،ومن ثم: يجد الباحث الحصيف المنصف مخارج لهذه الروايات الموقوفة على الصحابة ، وهي فى نفسها مكذوبة وباطلة فهي : إما إسرائيليات، أخذها بعض الصحابة الذين رووها ،عن أهل الكتاب الذين أسلموا ورووها ليعلموا ما فيها من الغرائب والعجائب، ولم ينبهوا على كذبها وبطلانها اعتمادا على ظهور كذبها وبطلانها، ولعلهم نبهوا إلى كذبها وعدم صحتها ، ولكن الرواة لم ينقلوا هذا عنهم ، وإما أن تكون مدسوسة على الصحابة ، وضعها عليهم الزنادقة ، والملحدون ، كي يظهروا الإسلام وحملته بهذا المظهر المنتقد المشين ، وأما ما يحتمل الصدق والكذب منها ، وليس فيه ما يصدم نقلا صحيحا ، أو عقلا سليما ، فذكروه لما فهموه من الإذن لهم في روايتها من قوله صلى الله عليه وسلم : (وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج)، وهذا النوع أقل خطرا من الأول ، إلا أنه لا فائدة في الاشتغال به .....

وكذلك جاء الكثير جدا من هذه الاسرائيليات عن التابعين ، واحتمال أخذها عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، أكثر من احتمال أخذها عن الصحابة ، فمنشؤها في الحقيقة هو ما ذكرت لك ، وهي التوراة وشروحها ، والتلمود وحواشيه ، وما تلقوه عن أحبارهم ، ورؤسائهم الذين افتروا وحرفوا وبدلوا ، ورواتها الأول هم : كعب الأحبار ، ووهب بن منبه –وأمثالهما – والنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بريئون من هذا .

ويجوز أن يكون بعضها مما ألصق بالتابعين ، ونسب إليهم زورا ، ولا سيما أن أسانيد معظمها لا تخلو من ضعيف أو مجهول ، أو متهم بالكذب ، أو بالوضع ، أو معروف بالزندقة .....

ولعل قائلا يقول : أما ما ذكرت من احتمال أن تكون هذه الروايات الاسرائيلية مختلقة موضوعة على بعض الصحابة والتابعين ، فهو إنما يتجه في الروايات التي في سندها ضعيف أو مجهول ، أو وضاع ، أو متهم بالكذب ، أو سيء الحفظ ، يخلط بين الروايات ولا يميز ، أو نحو ذلك ، ولكن بعض هذه الروايات حكم عليها بعض حفاظ الحديث بأنها صحيحة السند ، أو حسنة السند ، أو إسنادها جيد ، أو ثابت ، ونحو ذلك فماذا تقول فيها ؟؟!

والجواب : لا منافاة بين كونها صحيحة السند أو ثابتة السند ، وبين كونها من إسرائيليات بني اسرائيل ، وخرافاتهم ، وأكاذيبهم ، فهي صحيحة السند إلى ابن عباس ، أو عبد الله بن عمرو بن العاص ، أو إلى مجاهد ، أو عكرمة ، أو سعيد بن جبير وغيرهم ، ولكنها ليست متلقاة عن النبي ، لا بالذات ، ولا بالواسطة ، ولكنها متلقاة عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، فثبوتها إلى من رويت عنه شيء ، وكونها مكذوبة في نفسها ، أو باطلة ، أو خرافة شيء آخر ، ....

وأحب أن أنبه هنا إلى حقيقة وهي : أنه ليس معنى أن هذه الاسرائيليات المكذوبات والباطلات مروية عن كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وأمثالهم أنها من وضعهم واختلاقهم ، كما زعم ذلك بعض الناس اليوم ، وإنما معنى ذلك أنهم هم الذين رووها ، ونقلوها لبعض الصحابة والتابعين من كتب أهل الكتاب ومعارفهم ،وليسوا هم الذين اختلقوها ،وانما اختلقها وافتجرها أسلافهم القدماء .

ولم يقل أحد من أئمة الجرح والتعديل على حصافتهم ، وبعد نظرهم : أن كعبا ، ووهبا ، وعبد الله بن سلام ، وتميم الداري ، وأمثالهم كانوا وضاعين ، يتعمدون الكذب والاختلاق من عند أنفسهم ، وإنما الذي قالوه عنهم : أنهم كانوا هم الواسطة في حمل ونقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين ، وأن البعض رواها عنهم ، فليس الذنب ذنبهم ، وإنما الذنب ذنب من نقلها ، ورواها عنهم من غير بيان لكذبها وبطلانها .([١٦٥])

وممن أكثر من الرواية عن هؤلاء الأربعة ، أمثال هذه القصص والأخبار وخاصة فيما يتعلق بالفتن : نعيم بن حماد وها نحن ننقل لك ترجمة مختصرة له لتتبين آراء علماء الجرح والتعديل فيه :

---

[١٦٥] – المرجع السابق :صـ٩٤-٩٧ بإيجاز وتصرف.وقد ذكر المؤلف ترجمة مختصرة ووافية لمن ذكر أنهم يروون عن أهل الكتاب .

نعيم بن حماد وما قيل فيه :

ينقل كثير من الكتاب الذي يتحدثون عن فتن آخر الزمان عن نعيم بن حماد ويدلسون على القراء بأن نعيم بن حماد شيخ الإمام البخاري ، وهو ما يوهم القراء بصحة الأحاديث التي يروونها عنهم لأن البخاري نفسه أحاديثه صحيحة فكيف بشيخه ؟ونعيم بن حماد شيخ البخاري نعم ،ولكنه من الطبقة الثالثة ، وقل أن يخرج له البخارى موصولا بل عادته أن يذكر عنه بصيغة التعليق. ونحن ننقل للقراء هنا ما قيل عنه وهو للعلم لم يرو عنه البخاري في صحيحه إلا أحاديث قليلة جدا لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ومتابعا ، يعني مقرونا بغيره ، ولم يرو عنه البخاري شيئا في الفتن مع كثرة أحاديث نعيم فيها ، لكن البخاري لم يرو عنه حديثا واحد من هذه الأحاديث ، أما لماذا نورد هنا ترجمة لنعيم بن حماد بالذات فلأن غالب الكتب التي تتناول أشراط الساعة ، وأحداث آخر الزمان تنقل منه ، وكمثال على هذا الذي نقوله فإن صاحب كتاب [هرمجدون] الذي سنناقش فقرات منه في المبحث الرابع ، جعل هذا الكتاب [كتاب الفتن لنعيم بن حماد] هو عماد كتابه ، وعمدة استدلالاته ، ويكفي أن نعرف أن الأحاديث التي أوردها في كتابه لا تزيد على الخمسين منها من مسند نعيم فقط أكثر من خمسة وثلاثين حديثا!!!!!!!

فمن هو نعيم بن حماد ؟

هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعى ، أبو عبد الله المروزى الفارض الأعور (سكن مصر) ، من طبقة كبارالآخذين عن تبع الأتباع وتوفي سنة ٢٢٨ هـ (على الصحيح) بـ سامراء أو بغداد .

مرتبته عند ابن حجر : صدوق يخطيء كثيرا ، فقيه عارف بالفرائض

مرتبته عند الذهبى : الحافظ ، مختلف فيه ، امتحن فمات محبوسا بسامراء

بعض أقوال العلماء فيه : قال المزى فى "تهذيب الكمال" :

حدثنا الحسن بن سفيان ، قال : حدثنا عبد العزيز بن سلام ، قال : حدثنى أحمد بن ثابت أبو يحيى ، قال : سمعت أحمد بن حنبل ، و يحيى بن معين يقولان : نعيم بن حماد معروف بالطلب ، ثم ذمه يحيى ، فقال : إنه يروى عن غير الثقات .

و قال العجلى : نعيم بن حماد مروزى ، ثقة .

و قال أبو زرعة الدمشقى : يصل أحاديث يوقفها الناس .

و قال عبد الرحمن بن أبى حاتم ، عن أبيه : محله الصدق .

و قال محمد بن عيسى بن محمد المروزى ، عن أبيه : حدثنا العباس بن مصعب ، قال :نعيم بن حماد الفارض ، و ضع كتبا فى الرد على أبى حنيفة ، و ناقض محمد بن الحسن ، و وضع ثلاثة عشر كتبا فى الرد على الجهمية ، و كان من أعلم الناس بالفرائض ، فقال ابن المبارك : نعيم هذا قد جاء بأمر كبير يريد أن يبطل نكاحا قد عقد ، و يبطل بيوعا قد تقدمت ، و قوم توالدوا على هذا . ثم خرج إلى مصر فأقام بها نحو نيف و أربعين سنة ، و كتبوا عنه بها ، و حمل إلى العراق فى امتحان القرآن مخلوق مع البويطى مقيدين ، فمات نعيم بالعسكر بسر من رأى سنة سبع و عشرين و مئتين .

و قال أبو زرعة الدمشقى : قلت لعبد الرحمن بن إبراهيم : حدثنا نعيم بن حماد ،عن عيسى بن يونس ، عن حريز بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : " تفترق أمتى على بضع و سبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتى قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام و يحرمون الحلال " .

قال : هذا حديث صفوان بن عمرو ، حديث معاوية . قال أبو زرعة : قلت ليحيى بن

معين فى حديث نعيم هذا ، و سألته عن صحته ، فأنكره .

قلت : من أين يؤتى ؟ قال : شبه له .

و قال محمد بن على بن حمزة المروزى : سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث ، فقال :ليس له أصل . قلت : فنعيم بن حماد ؟ قال نعيم ثقة .

قلت : كيف يحدث ثقة بباطل ؟ قال : شبه له .

.....ثم قال : حدثنى محمد بن على الصورى ، قال : قال لى عبد الغنى بن سعيد الحافظ ، ذكر حديث عيسى بن يونس ، عن حريز بن عثمان ، من حديث نعيم بن حماد ، و من حديث أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، عن عمه ، و من حديث محمد بن سلام المنبجى جميعا عن عيسى بن يونس ، فقال : كل من حدث به عن عيسى بن يونس غير نعيم بن حماد فإنما أخذه من نعيم ، و بهذا الحديث سقط نعيم بن حماد عند كثير من أهل العلم بالحديث إلا عند يحيى بن معين لم يكن ينسبه إلى الكذب ، بل كان ينسبه إلى الوهم ،

و قال عبد الخالق بن منصور : رأيت يحيى بن معين كأنه يهجن نعيم بن حماد فى حديث أم الطفيل حديث الرؤية ، و يقول : ما كان ينبغى له أن يحدث بمثل هذا الحديث .

و قال صالح بن محمد الأسدى الحافظ فى حديث شعيب بن أبى حمزة عن الزهرى : كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث عن معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأمراء .

و الزهرى إذا قال : كان فلان يحدث فليس هو سماعا ، قال : و قد روى هذا الحديث نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن محمد بن جبير ، عن معاوية ، عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ، و ليس لهذا الحديث أصل ، و لا يعرف من حديث ابن المبارك ، و لا أدرى من أين جاء به نعيم ، و كان نعيم يحدث من حفظه و عنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها، قال : و سمعت يحيى بن معين سئل عنه ، فقال : ليس فى الحديث بشيء ، و لكنه كان صاحب سنة .

و قال أبو عبيد الآجرى عن أبى داود : عند نعيم بن حماد نحو عشرين حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم ليس لها أصل .

و قال النسائى : نعيم بن حماد ضعيف .

و قال فى موضع آخر : ليس بثقة .

و قال أبو على النيسابورى الحافظ : سمعت أبا عبد الرحمن النسائى يذكر فضل نعيم ابن حماد و تقدمه فى العلم و المعرفة و السنن ، ثم قيل له فى قبول حديثه ، فقال : قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة فصار فى حد من لا يحتج به .

و ذكره ابن حبان فى كتاب " الثقات " ، و قال : ربما أخطأ و وهم .

و قال أبو أحمد بن عدى : قال لنا ابن حماد ــ يعنى أبا بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابى ــ : نعيم بن حماد يروى عن ابن المبارك ضعيف ، قاله أحمد بن شعيب . قال ابن حماد : و قال غيره : كان يضع الحديث فى تقوية السنة ، و حكايات عن العلماء فى ثلب أبى حنيفة كذب.

قال ابن عدى ، و ابن حماد : متهم فيما يقوله لصلابته فى أهل الرأى .

و قال أيضا فى حديث نعيم بن عيسى بن يونس ، عن حريز بن عثمان ، قال لنا ابن حماد : وضعه نعيم بن حماد .

قال الحافظ فى "تهذيب التهذيب" ٤٦٢/١٠ :

و قال مسلمة بن قاسم : كان صدوقا ، و هو كثير الخطأ ، و له أحاديث منكرة فى

الملاحم انفرد بها ،

و قال أبو الفتح الأزدى : قالوا : كان يضع الحديث فى تقوية السنة ، و حكايات

مزورة فى ثلب أبى حنيفة ، كلها كذب . انتهى .

و أما نعيم فقد ثبتت عدالته و صدقه ، و لكن فى حديثه أوهام معروفة .

و قد قال فيه الدارقطنى : إمام فى السنة ، كثير الوهم .

و قال أبو أحمد الحاكم : ربما يخالف فى بعض حديثه .

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء : (نعيم من كبار أوعية العلم ، لكن لا تركن النفس إلى روايته، (١٦٦)

قال صالح جزرة : (كان يحدث من حفظه ، وعنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها ، سمعت ابن معين سئل عنه فقال : ليس في الحديث بشيء ، ولكنه صاحب سنة) (١٦٧)

قال ابن حماد الدولابي : (نعيم ضعيف)

قال ابن عدي : (ابن حماد متهم فيما يقوله لصلابته في أهل الرأي)

وقال النسائي : (كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة فصار في حد من لا يحتج به)

وقد أورد الذهبي أقوال المعدلين والمجرحين ، ثم عقب عليها بقوله : لا يجوز لأحد أن يحتج به ، وقد صنف كتاب الفتن فأتى فيه بعجائب ومناكير)(١٦٨)

القاعدة الرابعة : لله عزوجل سنن في الكون وفي الأنفس والآفاق لا تتغير

وسنن الله تعالى هي القانون العام الذي يخضع له هذا العالم بكل ما فيه ، ومن فيه من نبات وجماد وحيوان وإنسان وأجرام سماوية ، ويخضع له كل ما يصدر عن هذه الموجودات ، وما يتعلق بها ، وما يحل فيها ، وهذا مالا يختلف في وجوده أهل العلم وقد أخبر القرآن في آياته عن هذا القانون العام قال تعالى : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير

---

١٦٦ – الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٠صـ ٦٠٠

١٦٧ – انظر تاريخ بغداد جـ ١٣ صـ ٣١٢ ، وأيضا سير أعلام النبلاء جـ ١٠ صـ ٦٠٥

١٦٨ – انظر كل هذه الأقوال وتعقيب الذهبي عليها في سير أعلام النبلاء جـ ١٠ صـ٦٠٥ -٦٠٩

العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) [سورة يس : الآيات ٣٨-٤٠]

وللبشر طبعا وجه من هذا القانون فهو يعني بالنسبة للبشر ، السنة العامة التي يخضع لها البشر في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة ، وما يكونون عليه من أحوال ، وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية أو الضيق في العيش ، والسعادة والشقاء والعز والذل والرقي والتأخر والقوة والضعف ونحو ذلك ، وما يصيبهم في الآخرة من نعيم أو عذاب وفقا لأحكام هذا القانون.(١٦٩)

وما دامت سنة الله تعالى هي القانون العام الذي يحكم أفعال البشر وسلوكهم فإنها تتسم بالثبات ، والإطراد ، والعموم ، وهذ هو شأن القاعدة القانونية ، فهي ثابتة لاتتغير ، قال تعالى : (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) [سورة الأحزاب : الآية ٦٢] ، وقال تعالى: (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) [سورة فاطر : الآية ٤٣] .

وتأمل معي قول الله تعالى : (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به) [سورة النساء : ١٢٣] تدرك معنى أن سنة الله تعالى مطردة لا تتخلف ، ويسري حكمها على الجميع دون محاباة ولا تمييز ، فكل من يعمل سوءا يلق جزاءه ، لأن الجزاء بحسب سنة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف عنه (١٧٠)

فسنة الله تعالى ثابتة ومطردة وعامة غير مقتصرة على فرد دون فرد ،ولا على قوم دون قوم ، ولولا ثباتها واضطرادها وعمومها لما كان معنى في ذكر قصص وأخبار الأمم السابقة ، وطلب الاعتبار بما حل بهم ، ولكن لما كان ما جرى لهم وعليهم يجري على غيرهم إذا فعلوا فعلهم ، حسن ذكر قصصهم ، وطلب الاعتبار والاتعاظ بها .(١٧١)

والمتأمل للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وتاريخ الدعوة الإسلامية يعلم علم اليقين أن الله عز وجل إنما أرسل نبيه ليرشد المسلمين

---

١٦٩ – دكتور / عبد الكريم زيدان : السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية _ صـ١١ ،١٢ طبعة مؤسسة الرسالة الثالثة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

١٧٠ – الشيخ رشيد رضا : تفسير المنار جـ ٥ صـ٤٣٤ مرجع سابق .

١٧١ – الدكتور عبد الكريم زيدان : السنن الالهية صـ ١٤ ، ١٥ بتصرف مرجع سابق .

إلى منهج ربهم ، ويحملهم على اتباعه ، ومنهج ربهم يدل كله دلالة قاطعة على أن الله تعالى قد اختار لعباده أن يتقربوا إليه مستفيدين من سننه الجارية ، ذلك كي يوقفهم على أنه موجود وعليم وحكيم ، فالله عز وجل لا يقبل منهم أن يطلبوا الرزق منه على طريقة الحواريين في طلب المائدة من السماء ، وإنما يقبل منهم أن يطلبوا منه الرزق بعد أن يصطنعوا للرزق أسبابه ، وأن يتخذوا الوسائل التي توصل إليه .

وهو قد ضرب لهم في سبيل أن يؤمنوا بذلك الأمثال ، فمريم عليها السلام ، وهي في غاية الإعياء ، احتاجت إلى الطعام بجميع عناصره (فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك ثريا .وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) [سورة مريم : ٢٣، ٢٤].

وموسى عليه السلام اصطحب قومه خارجين من مصر فرارا من فرعون وملئه وجنده ، وكانوا مطمئنين طالما مكنهم الفضاء من الفرار ، فحين عرض لهم البحر رأوا أن أسباب الطبيعة قد انقطعت ، وأن فرعون وجنوده وملأه سيدركونهم لا محالة ، فخاطبوا نبيهم في ذلك قائلين : (إنا لمدركون) فقال لهم موسي : (كلا إن معي ربي سيهدين) ومع أن ربه سيهديه وسينقذه بطريقة قدرية بحتة ، إلا أنه لم يرد أن ينسيه أو ينسي قومه أن لله في كونه أسبابا يجب أن لا تنسى ، فأمره أن يضرب بعصاه البحر فانفلق البحر مترتبا على ضرب موسى له بالعصى .

وأمثلة كثيرة في القرآن الكريم تعاضد هذين المثالين ، لتنتهي كلها إلى تأكيد ما ذكرناه ، وما ذكرناه هو أن من يتأمل شرائع الله المنزلة ، وهي صحيحة النسبة إلى الله عز وجل ، يجد ولا شك أن الله ينتدب عباده لكي يكون أساس التعامل فيما بينهم وبين الكون ، وفيما بينهم وبين أنفسهم هو الاستفادة من سنن الله الجارية .

أما سنن الله الخارقة فليس لها من دور في حياة الناس إلا أن تكون رسالة إيمانية توثق صلة العباد بربهم ، وتؤكد صدق الرسل في دعواهم ، ولتكون سببا قويا في استقبال ما يأتي به النبي أو الرسول من غير معارضة أو تحرج ".(١٧٢)

ومما يؤكد مبدأ السببية كحقيقة من حقائق الوجود أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما أراد أن تتحقق معجزة الإسقاء لشرب الصحابة كان حريصا على أن يبقي بقية من الماء ليضع فيها أصابعه ، وبطبيعة الحال

---

١٧٢ – الد كتور / طه الدسوقي حبيشي : الهجرة بين سنن الله الجارية وسننه الخارقة صـ ٢٥ ، ٢٦ بتصرف يسير الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م .

فإن الأمر إذا كان خارقا فلا يمنع أن يأتي الماء من غير هذه البقية ، لكن بقية الماء هنا تمثل مبدأ السببية ، ومن هنا جاءت كل الأحاديث الواردة في نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم مؤكدة على بقية الماء ، التي يضع النبي صلى الله عليه وسلم يده فيها ، ومنها هذا الحديث عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء ، فقال: اطلبوا لنا فضل ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : (حي على الطهر المبارك والبركة من الله) فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم ([١٧٣])

ومما يؤكد مبدأ السببية أيضا ما كان في قصة يوسف عليه السلام عندما وجد يعقوب ريح يوسف وفيه قول الله عز وجل : (ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) [سورة يوسف : الآية ٩٤] ، والمعنى المأخوذ من الآية أن يعقوب لم يجد ريح يوسف إلا عندما فصلت العير ، وفصل العير هو مفارقة البلد التي كانت فيها ودخولها إلى البلد الذي فيه يعقوب ، ومجرد دخول العير إلى البلد ليس سببا طبيعيا لوجود ريح يوسف إذ أن الأمر معجزة أو خارقة ، ولكن إثباتا لمبدأ السببية لم يجد يعقوب ريح يوسف إلا بعد أن فصلت العير([١٧٤]) إثباتا للسببية إلى يوم البعث يذكر النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث آخر الزمان قوله : (ينزل ماء من السماء يشبه المني فينبت الإنسان من الأرض بإذن الله)([١٧٥])

ذلك أنه لما كان المني سبب في الخلق الأول كان الماء الذي سينزل من السماء للبعث وهو الخلق الثاني شبيها بسبب الخلق الأول ، وفي هذا إثبات لمبدأ السببية في كل مراحل الخلق والوجود.([١٧٦])

ونلاحظ في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشراط الساعة العلاقة بين الأحداث ، وإن كان كل حدث يمثل بذاته علامة من

---

[١٧٣] – أخرجه البخاري في المناقب – علامات النبوة ، وهو عند الترمذي والنسائى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا الحديث مما انفرد به البخاري دون مسلم.

[١٧٤] – قدر الدعوة : رفاعي سرور صـ٦٩-٧٠طبعة مكتبة الحرمين القاهرة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

[١٧٥] – رواه البخاري في التفسير –سورة النبأ ، ورواه مسلم في الفتن من حديث أبي هريرة .

[١٧٦] – قدر الدعوة : رفاعي سرور صـ ٧٠ مرجع سابق .

العلامات ، إلا أن مجموع الأحداث محكومة بحقيقة السبب والنتيجة ، والعلة والمقتضى ، يوضح ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، وتكثر النساء وتقل الرجال) ([١٧٧])فرفع العلم سبب لنزول الجهل ونزول الجهل سبب في كثرة الزنى ، وهكذا .

وكما يقول الحافظ ابن حجر : وكأن هذه الأمور الخمسة خصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التى يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهى الدين لأن رفع العلم يخل به، والنقل لأن شرب الخمر يخل به، والنسب لأن الزنا يخل به، والنفس والمال لأن كثرة الفتن تخل بهما. قال الكرمانى: وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذنا بخراب العالم لأن الخلق لا يتركون هملا، ولا نبى بعد نبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، فيتعين ذلك.

ولتوضيح هذا المعنى أيضا حديث آخر وهو حديث الجهاد بعد قتال الدجال ، ويذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم : (وتضع الحرب أوزارها ، وتنبت الأرض نباتها بعهد آدم ، ويكون الثور بكذا وكذا ، وتكون الفرس بالدريهمات) قالوا يا رسول الله ، وما يرخص الفرس ؟ قال : (لا تركب لحرب أبدا) . قيل : وما يغلى الثور ؟ قال : تحرث الأرض كلها)([١٧٨])

حين يتحدث المتحدثون عن بعض أشراط الساعة ، وكأنها ستقلب نظام الكون ، وتهدم سنن الله الجارية في الأمم والمجتمعات ، فمثلا المهدي سيأتي ليرد للمسلمين حقهم الضائع ، ومجدهم الزائل ، ويأتيهم بالنصر وهم كسالى قاعدون ، وكأن الله عز وجل لم يقل : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [سورة الرعد : الآية ١١]، فللتغيير سننه ، وإن كان المهدي سيأتي ونحن نؤمن بذلك فسيكون قائدا للتغيير وفق سنن الله تعالى في خلقه ، ومؤيدا بنصر الله هو وعصبته المؤمنين ، وهذا التأييد أيضا ليس خارجا عن سنن الله ، فالله ينصر من ينصره ، وهو سبحانه ولي المؤمنين .

أما أن ينتظر الناس المهدي ، وتعطل الأحكام ، والفرائض ، ونضع الأيدي على الخدود حتى يأتي المهدي المخلص الذي سيأخذ لنا حقنا ،

---

[١٧٧] – رواه البخاري ومسلم والترمذى من حديث أنس .

[١٧٨] – أخرجه ابن ماجه في الفتن (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الباهلي وسنده ضعيف .

ويحارب لنا ، ويأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر بدلا منا فما هذا سبيل المؤمنين .

إذا أردت أن تنتصر على اليهود ، فلهذا النصر شروط ، لا بد من أن تأخذ بها (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) [سورة الأنفال : الآية ٦٠].

إذا أردنا أن نكون في مصاف الدول المتقدمة ، وتكون لنا سيادة العالم ، فلذلك سنن ، ولغلبة الأمم سنن ، ولهلاكها سنن ، وسنن الله عزوجل – كما قلنا – لا تحابي أحدا ، (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) [سورة الأنبياء : الآية ١٠٥]

وفي هذه الأيام يكثر الحديث عن الروم وقتال الروم ويقصد بهم بالطبع الدول الغربية ويتحدثون عن حروب كبرى ، وعن حرب عالمية ثالثة بين المسلمين وبين الغرب ، وكأن هذه الحرب ستأتي في منأي عن سنة الله في التدافع بين الحق والباطل ، وكأن النصر فيها سيكون خارقة دون أخذ بأسباب هذا النصر كما وردت في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة .

ياقوم للبقاء الحضاري سننه ، وللغلبة سننها ، وللنصر رجال ، وفي الحديث قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تقوم الساعة والروم أكثر الناس) فقال له عمرو : أبصر ما تقول قال : أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالا أربعة : إنهم لأحكم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة ، وأوشكهم كرة بعد فرة ، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف ، وخامسة حسنة وجميلة ، وأمنعهم من ظلم الملوك)[١٧٩]

ومن قول عمرو بن العاص تتحد عناصر البقاء ، وموانع الهلاك ، وهي :

١- الحكمة عند الفتنة .
٢- الإفاقة بعد المصيبة .
٣- الكر بعد الفر .
٤- رعاية الضعفاء .
٥- منع الظلم .

وهذه العناصر الخمسة هي على وجه التحديد موانع الهلاك إذا وجدت أسبابه ، فإذا كانت الفتنة، وهي أول أسباب الهلاك كانت الحكمة

[١٧٩] – رواه الإمام مسلم في الفتن رقم (٢٨٩٨) ، ورواه أحمد في مسنده

وهي أول أسباب إخمادها وتفادي آثارها ، وإذا كانت المصيبة كانت الإفاقة التي تمنع استمرارها ، وإذا كان الفر والهزيمة كان الكر والمقاومة، ثم رعاية الضعفاء الدالة على أصالة الأقوياء ، ثم الامتناع عن ظلم الملوك الذي هو أصل الهلاك ليكون العدل ، وهو أهم شرط للبقاء.([١٨٠])

القاعدة السادسة : فليغرسها .

في الحديث الصحيح المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أَنَس أَنَّهُ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: يَا رسُولَ الله، مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ فقامَ النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الصَّلاَةِ، فلمّا قضَى صَلاَتَهُ قال: "أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ؟ فقال الرَّجُلُ: أَنَا يا رسُولَ الله. قال: "ما أَعْدَدْتَ لَهَا"؟ قال: يَا رسُولَ الله، ما أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاَةٍ وَلاَصَوْمٍ إلا أَنِّي أُحِبّ الله ورَسُولَهُ، فقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "المَرْءُ مع مَنْ أَحَبّ، وَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"، فمَا رَأَيْتُ فَرِحَ المُسْلِمُونَ بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحَهُمْ بهذا.

فهذا الأعرابي (وهو ذو الخويصرة اليماني)جاء يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أي وقت تقوم القيامة ، فأرشده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجابه بما ينفعه ، كأنه صلى الله عليه وسلم يقول له ليس المهم متى تقوم الساعة بل المهم أن تقوم الساعة وأنت مستعد لقيامها فالمهم والذي ينبغي أن نسأل عنه هو ، كيف نعد أنفسنا لقيام الساعة ؟ وللقاء الله عز وجل ، لأن الساعة ستقوم عليك أنت أولا فلك ساعتك الصغري ، ومن مات قامت قيامته ، لذلك قال له الرسول معلما : وما أَعْدَدتَ لها، أي ما هيأت للساعة من الأعمال الصالحة حيث تشتاق إليها، وتسأل عن وقتها.

وتأمل معي قول سيدنا حذيفة الذي ورد فيه كثير من أشراط الساعة ، والذي يقول فيه: كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الخَيْرِ. وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ. مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي. فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ. فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ. فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: "نَعَمْ" فقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: "نَعَمْ. وَفِيهِ دَخَنٌ" قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: "قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي. تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ". فقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "نَعَمْ.

[١٨٠] – قدر الدعوة : رفاعي سرور –صـ ١٣٣، ١٣٤

دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ. مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: "نَعَمْ. قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا. وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: "تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ" فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا. وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ".

فسيدنا حذيفة يسأل عن الشر لسببين : الأول : خوفه من أن يقع فيه ، والثاني : ليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبه حينما ينزل بالناس هذا الشر ، وهذا هو المهم فليست أشراط الساعة مذكورة للتسلية ولا للقيل والقال ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأمته سيحدث كذا فاحذروا من الوقوع فيه ، وجاهدوا أن تكونوا من أتباع الخير ، ولا تكونوا من أتباع الشر ، ويتضح هذا مثلا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المهدي ، وعن الدجال ، وأنا لا أفهم منه إلا أنه ترغيب لأمته أن يكونوا من عصبة الحق التى ستكون مع المهدي، وتقف في وجه الدجال ، فالمقصود في كل الاستعداد للقاء الله والنجهز دائما للقاء الله وأنت من المسلمين نسأل الله ذلك .

هذا المعني هو ما فهمه الصحابة حينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثهم عن أشياء من الخير ستحدث فيسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم من أهل هذا الخير ، والعكس في الشر .

فهذه أُمّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ قَالَتْ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ عِنْدَنَا فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي وَأُمِّي مَا أَضْحَكَكَ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ» قُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: «فَإِنَّكِ مِنْهُمْ» ثُمَّ نَامَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: يَعْنِي مِثْلَ مَقَالَتِهِ قُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ» فَتَزَوَّجَهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فَرَكِبَ الْبَحْرَ وَرَكِبَتْ مَعَهُ فَلَمَّا خَرَجَتْ قَدَّمَتْ لَهَا بَغْلَةً فَرَكِبَتْهَا فَصَرَعَتْهَا فَانْدَقَّتْ عُنُقُهَا.

وفي رواية عن عمير بن الأسود العنسي: أنه أتى عبادة بن الصامت، وهو نازل في ساحة حمص، وهو في بناء له، ومعه أم حرام، قال عمير: فحدثتنا أم حرام:أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا). قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: (أنت فيهم). ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصرمغفور لهم). فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: (لا).

فهذه امرأة مسلة بفطرتها السليمة أدركت أن هناك جهادا بحريا ، ولم تستغرب أن يكون هناك جهاد بحري لرسالة عالمية ، أدركت أن الأمة التي تحمل هذه الرسالة لا بد أنها مشتغلة بإعداد الأجهزة التي تقاتل في البحر كل هذا بالبداهة العربية الأولى ، ولذلك طلبت – كأنه أمر واقع – أن تشترك في هذه المنافسة في الخير ... جاء بعد ذلك من يقرأ آيات تسخير البحار للناس ولا يفكر في أن يركب بحرا ، ونشأ عن هذا أن الأمة الإسلامية التي قال عنها العلماء : إن ثمانية أعشارها مياه !! في هذه المساحة الهائلة من البحار ، توجد عشرة آلاف أو عشرون ألف سفينة ليس فيها غواصة إسلامية !، ولا حاملة طائرات إسلامية ! ولاسفينة مدنية كانت أو عسكرية تصنع في مرفأ عربي أو إسلامي ! ما معنى هذا ؟! أهؤلاء لديهم إدراك لمعنى قوله تعالى : (الله الذي سخر لكم البحر) [سورة الجاثية : من الآية ١٢].([١٨١])

ومثل هذا ماذكرناه في أول هذا البحث من أن سبب فتح القسطنطينية كان سماع محمد الفاتح لحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش ([١٨٢]) فطمع محمد الفاتح أن يكون هو نعم الأمير ففتحت القسطنطينية ، وفي معجم الطبراني يرد قول راوي الحديث بشير الخثعمي أنه قال : قال: فدعاني مسلمة بن عبد الملك فحدثته فغزا القسطنطينية.([١٨٣])

ومما يروى على سبيل الطرفة أن عرافا أخبر ثلاثة أحدهم يهودي والثاني نصراني ، والثالث مسلم ، أخبرهم هذا العراف أن طوفان سيعم الأرض كلها فيغرقها بالماء ، أما المسلم والنصراني فانصرفا إلى قومهما يطلبان منهم الدعاء والاستغفار فقد حانت نهاية العالم !!! وأما اليهودي فقد رجع هو الآخر إلى قومه ولكن أخبرهم أن عليهم أن يتدربوا من الآن كيف يعيشوا تحت الماء !!!

---

[١٨١]-كيف نتعامل مع القرآن : فضيلة الشيخ/ محمد الغزالي -صـ ٥٧ مرجع سابق.

[١٨٢] – رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك عن بشر الغنوي تصحيح السيوطي: صحيح.

[١٨٣]-رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات.

وما أروع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)([١٨٤]) والفسيلة هي النخلة الصغيرة إذ الفسيل صغار النخل وهي الودي ويعلق الإمام المناوي في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير على هذا الحديث فيقول : قد خفي معنى هذا الحديث على أئمة أعلام منهم ابن بزيزة فقال: الله أعلم ما الحكمة في ذلك انتهى. قال الهيثمي: ولعله أراد بقيام الساعة أمارتها فإنه قد ورد إذا سمع أحدكم بالدجال وفي يده فسيلة فليغرسها فإن للناس عيشاً بعد، والحاصل أنه مبالغة في الحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها فكما غرس لك غيرك فانتفعت به فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة وذلك بهذا القصد لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا وفي الكشاف كان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما فيهم من عسف الرعايا، فسأل بعض أنبيائهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي، وأخذ معاوية في إحياء أرض وغرس نخل في آخر عمره فقيل له فيه فقال: ما غرسته طمعاً في إدراكه بل حملني عليه قول الأسدي:

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا يكون له في الأرض آثار

ومن أمثالهم أمارة إدبار الأمارة كثرة الوباء وقلة العمارة، وحكي أن كسرى خرج يوماً يتصيد فوجد شيخاً كبيراً يغرس شجر الزيتون فوقف عليه وقال له: يا هذا أنت شيخ هرم والزيتون لا يثمر إلا بعد ثلاثين سنة فلم تغرسه فقال: أيها الملك زرع لنا من قبلنا فأكلنا فنحن نزرع لمن بعدنا فيأكل فقال له كسرى: زه وكانت عادة ملوك الفرس إذا قال الملك منهم هذه اللفظة أعطى ألف دينار فأعطاها الرجل فقال له: أيها الملك شجر الزيتون لا يثمر إلا في نحو ثلاثين سنة وهذه الزيتونة قد أثمرت في وقت غراسها فقال كسرى: زه فأعطى ألف دينار فقال له أيها الملك شجر الزيتون لا يثمر إلا في العام مرة وهذه قد أثمرت في وقت واحد مرتين فقال له زه فأعطى ألف دينار أخرى وساق جواده مسرعاً وقال: إن أطلنا الوقوف عنده نفد ما في خزائننا.([١٨٥])

---

[١٨٤] –رواه أحمد في مسنده والبخاري في الأدب عن أنس رضي الله عنه .

[١٨٥] – الجزء الثالث : صـ ٣٠، ٣١ بتصرف يسير .

وفي مسند عمر رضي الله عنه عن عمارة بن خزيمة بن ثابت: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غدا، فقال له عمر: أعزم عليك لتغرسها، فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي.([١٨٦])

يقول الأستاذ / محمد قطب : ولعل آخر ما كان يدور في ذهن السامعين أن يقول لهم الرسول الكريم ذلك الحديث !!ولعلهم توقعوا أن يقول لهم الرسول الكريم الذي جاء ليذكر الناس بالآخرة ، ويحثهم على العمل لها ، ويدعوهم إلى تنظيف ضمائرهم وسلوكهم من أجل اليوم الأكبر : يوم الحساب الذي تدان فيه النفوس لعلهم توقعوا أن يقول لهم : فليسرع كل منكم فليستغفر ربه عما قدمت يداه وليتوجه بدعوة خالصة أن يميته على الإيمان ويقبل توبته ، ويبعثه على الهدى ، ولعلهم توقعوا أن يقول لهم ، أسرعوا فانفضوا أيديكم من تراب الأرض وتطهروا . اتركوا كل أمور الدنيا وتوجهوا بقلوبكم إلى الآخرة . انقطعوا عن كل ما يربطكم بالأرض . اذكروا الله وحده توجهوا إليه خالصين من كل رغبة في الحياة حتى إذا ذهبتم إلى ربكم ذهبتم وقد خلصت نفوسكم إليه فيقبل أوبتكم ويظلكم بظله حيث لا ظل إلا ظله .

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئا من ذلك كله الذي توقعه السامعون ،بل قال لهم أغرب ما يمكن أن يخطر على قلب بشر !! قال لهم : إن كان بيد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة فليغرسها فله بذلك أجر !!! فسيلة النخل التي لا تثمر إلا بعد سنين، والقيامة في طريقها أن تقوم ، وعن يقين ؟ ([١٨٧])

وهي كلمة بسيطة لا غموض فيها ، ولا صنعة ، ولا تفنن ، كلمة رغم غرابتها لأول وهلة وبدهها للفكر على غرة تخرج بسيطة كبساطة الفطرة عميقة كعمق الفطرة شاملة واسعة فسيحة تضم بين دفتيها منهج حياة ، منهج الحياة الإسلامية .

فاول ما يخطر على البال من هذه الكلمة العجيبة أن طريق الآخرة هو هو طريق الدنيا بلا اختلاف ولا افتراق ، إنهما ليسا طريقين منفصلين : أحدهم للدنيا والآخر للآخرة ، وإنما هو طريق واحد يشمل هذه وتلك ، ليس هناك طريق للآخرة اسمه العبادة ، وطريق للدنيا اسمه العمل ، وإنما

---

[١٨٦] – كنز العمال للمتقي الهندي :عن ابن جرير

[١٨٧] – الأستاذ محمد قطب : قبسات من الرسول _ صـ ١٦، ١٧ طبعة دار الشروق الثامنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م

هو طريق واحد أوله في الدنيا وآخره في الآخرة ، وهو طريق لا يفترق فيه العمل عن العبادة ولا العبادة عن العمل كلاهما شيء واحد في نظر الاسلام . وكلاهما يسير جنبا إلى جنب في هذا الطريق الواحد الذي لاطريق سواه .

العمل إلى آخر لحظة من لحظات العمر . إلى آخر خطوة من خطوات الحياة . يغرسها والقيامة تقوم هذه اللحظة عن يقين .(١٨٨)

والرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة والأسوة الحسنة ، وهو واضع المنهاج العملي لتحقيق الإسلام في عالم الواقع ، ..... فهو يحارب في سبيل الله . ويسالم في سبيل الله . ويدعو الناس إلى سبيل الله . ويأكل باسم الله . ويتزوج على سنة الله . ويهدم ويبني ، ويحطم وينشئ . ويهاجر ويتوطن وكل ذلك في سبيل الله ، واليوم الآخر ، يوم يلقى الله ، فكل عمله إذن عبادة يتوجه بها إلى الله . والطريق أمامه طريق واحد هو الطريق إلى الله ، وهو يسير في هذا الطريق الأوحد الذي لاطريق غيره، يسير قدما لا يتلفت ولا يتحول ولا يكف عن المسير .

إلى آخر لحظة من حياته صلى الله عليه وسلم كان يسير في الطريق ، كان يعمل في الدنيا وهو يبغي الآخرة ، ويعمل للآخرة بالعمل في الأرض حتى حين نزلت الآية : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) [سورة المائدة : من الآية ٣] وأحس عمر – رضي الله عنه – أنها النهاية فدمعت عيناه حتى في مرض الموت حتى في اللحظة الأخيرة لم يزايله انشغاله بأمور الدنيا بأمور الناس بإصلاح الأرض بهداية البشرية برسم المنهج الذي يسيرون عليه بتوطيد أركان الدين وتوثيق عراه ، وكان يقول والوجع يشتد عليه صلى الله عليه وسلم : (إيتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده أبدا..)كان في يده الفسيلة وكان يغرسها، ولم يدع يديه منها صلى الله عليه وسلم حتى فاضت روحه الكريمة الطاهرة إلى مولاه .(١٨٩)

ويعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أن التعامل مع الفتن لا يكون إلا بالطاعة المطلقة لله ولرسوله ، فالطاعة تمنع الفتنة ، وهي كذلك تواجهها بعد وقوعها ، فيقول عليه الصلاة والسلام : (بادروا بالطاعات

---

١٨٨ – المرجع السابق : صـ ١٨ بتصرف يسير .

١٨٩ – المرجع السابق : صـ ٢٢، ٢٣ بتصرف يسير .

قطعا قطعا كالليل المظلم ، يمسي الرجل مسلما ويصبح كافرا ، ويصبح مسلما ويمسي كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا)(١٩٠)

ومن هنا كان التناسب بين مستوى العبادة ومستوى الفتنة إذ ورد في حديث حذيفة حينما سأل عن الفتن قوله : (فتنة الرجل في أهله تكفرها الصلاة والصدقة) وهذا يعنى أن الفتن المعتادة تكفرها العبادات المعتادة ، ومن هنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من يوقظ صواحب الحجرات – يقصد أمهات المؤمنين لصلاة التهجد – ماذا أنزل اليوم من الفتن)(١٩١)

وتأمل معي أخي الكريم في ختام هذه القاعدة هذا التوجيه النبوي الكريم لصحابته عن أبي سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟) قال: فقلنا بلى يا رسول الله؛ فقال: (الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل).

وفي حديث آخر "لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال. فقيل: وما ذلك؟ فقال: من الأئمة المضلين"أخرجه أحمد من حديث أبي ذر بإسناد جيد.

القاعدة السابعة : أشراط الساعة من الأمور القدرية وليست من التكليفات الشرعية .

ومن الأمور الهامة التي يجب التنبيه عليها والتنبه لها وبمعرفتها تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط بها علما أن الله سبحانه له الخلق والأمر ، وأمره سبحانه نوعان : أمر كوني قدري ، وأمر ديني شرعي ، ومشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني ، وكذلك تتعلق بما يحبه وبما يكرهه كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه ،وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله .

وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعا فهو

---

١٩٠ – أخرجه مسلم : كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو عند الترمذي أيضا بلفظ : (بادروا بالأعمال فتنا كقطع اليل المظلم .....الخ)

١٩١ – صحيح البخاري : في التهجد من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني ولم تتعلق به مشيئته وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته فلفظ المشيئة كوني ، ولفظ المحبة ديني شرعي ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشيئة وإرادة دينية فتكون هي المحبة .

فلله سبحانه وتعالى حكمان كوني قدري وشرعي ديني فالكوني متعلق بخلقه والشرعي بأمره ، والمسلم يدور مع الحكم الديني الشرعي ، أما الحكم الكوني فمحل التسليم له كما يقول الإمام ابن القيم إذا لم يكن هناك أمر بمنازعته ، ودفعه .

فهو يقول في مدارج السالكين [منزلة التسليم] : وهي نوعان : تسليم لحكمه الديني الأمري ، وتسليم لحكمه الكوني القدري .

فأما الأول : فهو تسليم المؤمنين العارفين ، قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) [سورة النساء : الآية ٦٥] ، فهذه ثلاث مراتب : التحكيم ، وسعة الصدر بانتفاء الحرج ، والتسليم ،

وأما التسليم للحكم الكوني فمزلة أقدام ، ومضلة أفهام ،حير الأنام ، وأوقع الخصام ، وقد تقدم الكلام عليه بما فيه كفاية ، وبينا أن التسليم للقضاء يحمد إذا لم يكن هناك أمر بمنازعته ، ودفعه، ولم يقدر على ذلك ، كالمصائب التي لا قدرة له على دفعها ، وأما الأحكام التي أمر الله بدفعها ، فلا يجوز التسليم إليها ، بل العبودية مدافعتها بأحكام أخر أحب إلى الله منها .

ومن تأمل خلق الأضداد في هذا العالم ، ومقاومة بعضها لبعض ، ودفع بعضها ببعض ، وتسليط بعضها على بعض تبين له كمال قدرة الرب تعالى وحكمته ، واتقانه ما صنعه ، وتفرده بالربوبية والوحدانية .

وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي ، وأنه لا ينافي التوكل ، كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش ، والحر ، والبرد ، بأضدادها ، بل لاتتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا ، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل ، كما يقدح في الأمر والحكمة .....

وفيها رد على من أنكر التداوي وقال : (إن كان الشفاء قد قدر فالتداوي لا يفيد ، وإن لم يكن قد قدر فكذلك) .

فإن المرض حصل بقدر الله ، وقدر الله لا يدفع ولا يرد ، وهذا السؤال هو الذي أورده الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، .....وقد أجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بم شفى وكفى فقال : هذه الأدوية والرقى هي من قدر الله ، فما خرج شيء عن قدره ، بل يرد قدره بقدره ، وهذا الرد من قدره ، فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما ، وهذا كرد قدر الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها ، وكرد قدر العدو بالجهاد ، وكل من قدر الله الدافع والمدفوع والدفع (١٩٢)

ويقول تحت عنوان [السير في بحار القدر] : وراكب هذا البحر في سفينة الأمر وظيفته مصادمة أمواج القدر ، ومعارضتها بعضها ببعض وإلا هلك ، فيرد القدر بالقدر ، وهذا سير أرباب العزائم من العارفين ، وهو معنى قول الشيخ العارف القدوة [عبد القاهر الكيلاني] الناس إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا إلا أنا ، فانفتحت لي فيه روزنة ، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، والرجل من يكون منازعا للقدر ، لا من يكون مستسلما مع القدر .

ولا تتم مصالح العباد في معاشهم إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض فكيف في معادهم؟ والله عزوجل أمر أن تدفع السيئة وهي من قدره ، بالحسنة وهي من قدره ، وكذلك الجوع وهو من قدره أمر بدفعه بالأكل وهو من قدره ، ولو استسلم العبد لقدر الجوع مع قدرته على دفعه بقدر الأكل حتى مات مات عاصيا ، وكذلك البرد والحر والعطش كلها من أقداره ، وأمر بدفعها بأقدار تضادها ، والدافع والمدفوع والدفع من قدره .....وإذا طرق العدو من الكفار بلد الإسلام أفيحل للمسلمين الاستسلام للقدر ، وترك دفعه بقدر مثله وهو الجهاد الذي يدفعون به قدر الله بقدره (١٩٣).

وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر فالخلق قضاؤه وقدره وفعله والأمر شرعه ودينه فهو الذي خلق وشرع وأمر وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق والأمران غير متلازمين ، فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عبادة

---

١٩٢ – الإمام ابن القيم: زاد المعاد جـ٤ صـ ١٢ [الحث على التداوي وربط الأسباب بالمسببات]

١٩٣ – الإمام ابن القيم : مدارج السالكين جـ ١ صـ ١٩٩

وإيمانهم وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور ، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي .

إذا عرف ذلك فالقضاء في كتاب الله نوعان : كوني قدري كقوله : (فلما قضينا عليه الموت) وقوله : (وقضى بينهم بالحق) ، وشرعي ديني كقوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) أي أمر وشرع ولو كان قضاء كونيا لما عبد غير الله .

والحكم أيضا نوعان فالكوني كقوله : (قال رب احكم بالحق)أي افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك، والديني كقوله : (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) ، وقوله : (إن الله يحكم ما يريد) ، وقد يرد بالمعنيين معا كقوله : (ولا يشرك في حكمه أحدا)فهذا يتناول حكمه الكوني وحكمه الشرعي .

والإرادة ايضا نوعان فالكونية كقوله تعالى : (فعال لما يريد) ، وقوله: (وإذا أردنا أن نهلك قرية)، وقوله : (إن كان الله يريد أن يغويكم) ، وقوله : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) ، والدينية كقوله : (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)وقوله : (والله يريد أن يتوب عليكم) ، فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا ، ولو وقعت التوبة من جميع المكلفين وبهذا التفصيل يزول الاشتباه

وأنبياؤه ورسله وأتباعهم حظهم من هذه الأمور الديني منها ، وأعداؤه واقفون مع القدر الكوني ،فحيث ما مال القدر مالوا معه ، فدينهم دين القدر ، ودين الرسل واتباعهم دين الأمر، فهم يدينون بأمره ، ويؤمنون بقدره ، وخصماء الله يعصون أمره ، ويحتجون بقدره ، لا يقولون نحن واقفون مع مراد الله ، نعم مع مراده الديني أو الكوني ؟ ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكوني ولا يكون ذلكم عذرا لكم عنده ، إذ لو عذر بذلك لم يذم أحدا من خلقه ، ولم يعاقبه ،ولم يكن في خلقه عاص ، ولا كافر ، ومن زعم ذلك فقد كفر بالله ، وكتبه كلها ،وجميع رسله .

ما معنى هذا الكلام ، وما علاقته ببحثنا ، نقول مثلا حينما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويكثر الجهل ، فهل نحن مطالبون بالتسليم لهذا الحكم ، أم أن هناك أمر آخر شرعي يأمرنا بمنازعة قدر الله في رفع العلم بقدره في نشره وتعليمه، وكذلك مثلا إنتشار الزنا ، والربا ، وكثرة الفتن وغيرها من

الأمور التي تدخل تحت الأمر الكوني، ولا تدخل تحت الأمر الديني الذي هو محور تكليفنا، فنجن ندور مع الأمر الشرعي ، ونؤمن بالأمر القدري.

وقد رد الإمام ابن القيم على من قال بأن العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله في القدر فمراده من الخلائق ما هم عليه .

رد فقال : الرب تعالى له مرادان كوني وديني ، فهب أن مراده الكوني منهم ماهم عليه ، فمراده الديني الأمري الشرعي هو الإنكار على أصحاب المراد الكوني ، فإا عطلت مراده الديني لم تكن واقفا مع مراده الديني ، ولا ينفعك وقوفك مع مراده الكوني الذي قدره وقضاه ،إذ لو نفعك ذلك لم يكن للشرائع معنى البتة ، ولا للحدود والزواجر ولا للعقوبات الدنيوية ، ولا للأخذ على يد الظلمة والفجار وكف عدوانهم وفجورهم .

ونعيد هنا ما أوردناه في مقدمة بحثنا من أن لله عز وجل : أحكام شرعية ، وأحكام قدرية ، ونحن متعبدون بالأحكام الشرعية من تكليفات وأوامر ونواه ، أما الأحكام القدرية التي تدخل فيها المغيبات المستقبلية ، فنحن غير متعبدين إلا بالتصديق بها ، ثم الامتثال لأحكام الله الشرعية فيها إذا جاء أوانها ، ومع ذلك فإن الله لم يتعبدنا بالانتظار حتى تقع الأقدار خيرها وشرها ، ولكن تعبدنا بالإعداد والاستعداد لملاقاة أي خطر قائم أو قادم يتهدد ديننا ، وأمتنا

والنصوص التكليفية الشرعية هي المحققة للإلتزام الشرعي ، فمثلا في الحديث الشريف (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها) فهاهنا أمران أمر تكليفي ، وأمر قدري إخباري ، فتضمن الحديث الأمر بغرس الفسيلة في وقت اليقين أن القيامة تقوم غدا ، وأن الفسيلة لن تخرج، وعلى هذا كان غرس الفسيلة هو التكليف ، وكان عدم خروجها هو الخبر ، والخبر لا يمنع الالتزام بالتكليف ، فلا يمنع خبر (عودة الاسلام غريبا) تكليف الدعوة والجهاد ، ولا يمنع خبر (تفرق الأمة) تكليف الجماعة بالوحدة والتآلف وهكذا .

ولسنا بحاجة إلى التأكيد على أن كثيرا من أشراط الساعة هو من الأحكام القدرية ، وليست من الأحكام الشرعية التي أمرنا بالامتثال لها .

المبحث الرابع

هرمجدون بين الحقيقة والخيال

تمهيد:

هذا الكتاب الذي نعرض له هنا هو واحد من الكتب الكثيرة التي ظهرت تتحدث عن الأهوال، وفتن آخر الزمان ، وهو واحد من عدة كتب صدرت لمؤلف واحد ، في الموضوع ذاته، واعترف أنني حينما أحضرت الكتاب ، ما كنت اتطلب من كاتبه المحال ، ما كنت أتطلب منه أن تكون معالجته للموضوع على قدر من الجدة ، سواء من حيث الرؤية والمنهج ، أو اللغة والمفهوم، ماكنت أتطلب منه أن يرضي فضولي المعرفي ، ويجعلني أزداد معرفة بواقعي أو بذاتي وفكري ، ماكنت أتطلب منه سوي أن يكون في معالجته للموضوع، منصفا وأمينا في نقله للنصوص والأراء وليته كان أمينا !!!!!!!!!

والحق أن الكاتب صدمنى من البداية ، بل مما قبل البداية ، أي من عناوين كتبه بالذات ، فالعنوان ينبئنا بمضمون الكتاب وتوجه صاحبه ،فالعنوان الأول للكتاب الأول [عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام] ، ومفهوم العنوان هو كما نرى ، وكما ظهر جليا في كتابه أن عمر الأمة الإسلامية محدد ، ومعروف ، وهو ما وضحه الكاتب في كتابه بأنه يساوي ١٤٠٠سنة تزيد قليلا (١٩٤)، واستند إلى أسانيد واهية سبق وأن رددنا عليها في هذا البحث .

ثم أعقب هذا الكتاب بآخر ، وثالث ، ورابع هو الذي عنوانه [هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام]، والكتاب المذكور كتاب فيه حق قليل وباطل كثير، فضاع حقه في باطله، وشوهه المؤلف بتفسيراته وتأويلاته البعيدة، والعنوان يوحي أن هذا هو الإنذار الأخير ،وليته يكون هو آخر ما تجود به قريحة الكاتب !!!!!

وكاتب هذه الكتب أقل ما يقال عنه إنه مدلس ، والمدلس هو الذي يوهم الناس بأن ما قاله حقائق لا تقبل المناقشة ، ومن يحاول الرد عليه فإنه يكون مجادلا أو مشاغبا ، ولا يريد من وراء ذلك إلا الشهرة والتكسب(١٩٥) (رمتني بدائها وانسلت)

يدلس على القراء فيكتب لهم على غلاف الكتاب يافطة عريضة ليثبت لنفسه أنه من أهل الأزهر وينتسب إلى الدراسات العليا في كلية

---

١٩٤ – انظر صـ ٤٩ من الكتاب المذكور طبعة المكتبة التوفيقية القاهرة .

١٩٥ – هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام : صـ ٤٧ ، ٤٨ طبعة المكتبة التوفيقية بدون تاريخ .

الدعوة ، حتى يغرر على العوام ، والغريب أن هذه الكتب الثلاثة خرجت في أكثر من ثمان سنوات ، ولا زال صاحبنا في الدراسات العليا ، إن كان في الدراسات العليا !!!!!!!!!!!

وليس هذا هو الختم الوحيد الذي وضعه ، فهو دائما يذكر أختاما عدة تلبيسا على الناس كما يقول مثلا ، أنقل عن نعيم بن حماد شيخ الامام البخاري وحسبك من جرس هذه الكلمة على العامة بل وللأسف على بعض الخاصة ، وقد مر بك ما يظهر لك تدليسه في هذا الأمر .

أيضا يضع في نهاية كل كتاب يافطة عريضة مرصعة بهذه الكلمات الأزهر الشريف – مجمع البحوث الاسلامية – الإدارة العامة للتأليف والترجمة والنشر ، بناء على الطلب الخاص منه بفحص ومراجعة الكتاب تم فحصه ومراجعته !!!!!!!!!

وليس فيه بناء على هذا الفحص ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية !!!!!!!

والسؤال : هل تم فحص الكتاب فعلا كما هو بين يدي القراء ، أم أنه أرسل إليهم أصول كتاب ليس فيها ما يعاب ، ثم بعد أن أخذ الموافقة أضاف ما أضاف ، وإذا كان الأمر كذلك أو غيره فلماذا تعطى الفرصة لهذا الغرير ، ليغر العامة ، بما ليس يغر!!!!!! وليست هذه هي الملاحظة الوحيدة على هذه الموافقة لكنني أتركها دون تعقيب آخر قد يأتي زمانه ومكانه .

والكاتب استغل الأحداث التي يمر بها العالم الإسلامي فاعتمد على الأقوال المكذوبة والضعيفة في تنزيلها على الواقع ، وأخذ يلوي عنق النصوص والأخبار لكي يتم له مراده ، وهذا المنهج من المناهج المرفوضة في بساط البحث العلمي ، وهذا ماسوف نتحدث عنه .

ونحن إذ نقرر صحة بعض ما أورده الكاتب من علامات الساعة وأخبار الملاحم، من خلال الأحاديث الثابتة في ذلك، إلا أن القسم الأكبر من تفاصيل ذلك مما أورده الكاتب باطل مكذوب، وقد استغل الكاتب تلك التفاصيل المكذوبة ليُنزلها على الواقع، وليفسر بها إجمال الأحاديث الصحيحة وهذا منهج خطأ؛ لأنه يوهم أن تلك الأحاديث لا تعني إلا ذلك المعنى الذي أخذه من الأحاديث المكذوبة، وأنها تمثل الحديث عن واقعنا المعاصر فعلا.

وكثير من أفكار هذه الكتب سبقت مناقشتها في ثنايا هذا البحث ، مثل تحديد عمر الأمة، والاستدلال بالاسرائيليات ،والأحاديث الضعيفة بل

والموضوعة في هذا الباب ، لذلك سوف نذكر في ردنا هنا ثلاثة أمر فقط كنموذج على تهافت الكتاب :

أولا : التعقيب على مقدمة المؤلف لكتابه .

ثانيا : ما ذكره الكاتب حول معركة هرمجدون .

ثالثا : ما ذكره الكاتب حول تنبأ الرسول ببعض الأحداث في آخر الزمان كظهور هتلر ، وصدام حسين ، وغير ذلك مما ذكره هذا الكاتب !!!!!!!!!!!!

<u>أولا : التعقيب على مقدمة الكتاب :</u>

١- في مقدمة كتابه يقول المؤلف : (ولم أكن ناقلا عنهم أدلتهم ، ولا تابعا لهم –يعني اليهود والنصارى –) ، وهذا الكلام عجيب متناقض ، فالكاتب نفسه قبل هذه الفقرة بأسطر قليلة نقل نصا من سفر دانيال ، بل إنه يدقق في النقل فيذكر الطبعة تلو الطبعة ، كما نقل عنهم في مواضع أخرى من كتابه ، بل إنه جعل أساس حديثه عن هرمجدون كما سنبين بناء على زعم اليهود والنصارى في ذلك ، وليس أدل على ذلك من تسمية كتابه باسم هرمجدون وهو اللفظ المذكور عندهم فكيف يقول (ولا تابعا لهم) !!!!!!!!!!!!

٢- في مقدمة كتابه أيضا صـ ٧،٦ يقول : (وكما استأنست بكلامهم الموافق لما أثبتناه ...فقد استأنسوا هم بكلامنا ، فقد سمعت بعض علمائهم وهو القس / إميل بطرس يقول : إن علماء المسلمين أيضا يتحدثون عن قرب النهاية ، ويذكرون حروب هرمجدون والملاحم ...)

ما معنى هذا الكلام من هذا الذي يقدمه لنا المؤلف مستأنسا بكلامه ؟ وما قيمة أن يستأنس قسيس بكلام المؤلف الذي استأنس هو بكلامهم ، وهل شهادة القسيس منقبة وتقريظ للكتاب!!!!!!!!!!! يكفي المؤلف أن قسيسا مدحه في الوقت الذي ذمه كل علماء المسلمين ، ولم يرتضوا منهجه .

٣- يقول المؤلف مبينا عرضه للآثار العجيبة والمثيرة وسبب عرضه لها : (وإنني إذ أعرضها ، وأنقلها معزوة إلى مصادرها ، ومنسوبة إلى قائليها فإن العهدة تكون عليهم فيما أوردوا ، ولولا أنني واثق بها ما عرضتها إلا أن موافقتها الإجمالية لما قررناه من قبل ، وموافقتها للواقع الذي نعيشه ، وكذلك الكيفية التي وصلتني بها هاتيك الكتب ، فإنها أتتني بغير طلب مني ولا بحث ، وإنما أهدانيها بعض المحبين من العرب

والمصريين ، هذا ما جعلني راغبا في إيراد ما فيها من آثار عجيبة حتى تعم الفائدة ، ويتم واجب البلاغ للأمة) صـ٨. وهذا الكلام عليه ملاحظات كثير منها :

قول المؤلف : (والعهدة على قائليها) أي ينقل الأقوال والعهدة على قائليها ، وهذا الكلام إنما يصلح في مقام النقل والرواية ، أما في مجال البحث وإصدار الأحكام ، وإنزالها على الواقع ، فلا بد من دراسة النصوص ، ومعرفة صحتها من ضعفها ، لكن المؤلف تحت ستار هذه الكلمة ينقل كل ما يهواه !!!!!!!!!!!

وإذا كانت العهدة على قائليها كما زعم فكيف يقول بعد ذلك : ولولا أنني واثق بها ما عرضتها، فهو بهذا حمل نفسه هذه العهدة شاء أم أبى، وهل يصلح في مجال العلم عرض الآثار بمجرد الوثوق بها ؟؟؟ بمعنى أن المرء إذا وثق بالنص عرضه ، وإذا لم يثق به لم يعرضه !!!هكذا بدون تدقيق وبحث في صحة النص أو ضعفه ؟؟؟[١٩٦]

يقول المؤلف : (إن المنجم الفلكي اليهودي الشهير (ميشيل نوسترادموس) .... ثم نقل كلاما عنه ثم قال - هذا العراف هو طبيب في الأصل ، لم يأت به من باب الكهانة أو العرافة ، إنما هو قد اطلع على مخطوطات إسلامية حصل عليها وورثها من أجداده اليهود ..... بجانب موروثات اليهود والنصارى والذي فيها بعض العلم الذي لم يغير ولم يبدل .

ثم قال : ونقول : إن ما جاء به (نوسترادامو س) هو من تراثنا المنهوب ، وميراثنا المسلوب الذي سقط منا فالتقطوه ، وجهلناه وعلموه .)

وهذا الكلام من أخطر الأمور الموجودة في الكتاب فالمؤلف يثني على منجم !!!!! يهودي !!!!!!!

ويرى أن ذلك المنجم حصل على علم ورثه - وبالطبع لم يرثه أحد سواه - عن مخطوطات إسلامية، ثم يقول المؤلف وبدون تورية إن هذا من تراثنا المنهوب !! وميراثنا المسلوب !!! الذي سقط من !!! والتقطوه ، وجهلناه !! وعلموه !!

---

[١٩٦] - انظر كتاب تنبيه الأنام على ما في كتاب هرمجدون من ضلالات وآثام : عادل بن يوسف العزازي - طبعة دار الرضا للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

وهذا الكلام فيه تشكيك في العلوم الشرعية التي وصلتنا ، وأنها ناقصة وقد سلب منها علوم ، وأصبحنا جهلاء بها ، وعلم ما جهلناه عند اليهود الذين ورثوا ذلك وعلموه ، فهل هذا كلام يقال بيانا للمسلمين [١٩٧]

زعم المؤلف أن هناك مخطوطات إسلامية ضاعت وحرقت لتعرض بلاد المسلمين لغارات التتار والصليبين وغيرهم ، ونحن نقول له نعم حرقت مؤلفات كثيرة ، لكننا نجزم أن السنة لم يضع منها شيء ، فإن الله - عز وجل - حفظ القرآن والسنة قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [سورة الحجر : الآية ٩] ،والدليل على أن السنة من الذكر قوله تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) [سورة النحل : من الآية ٤٤] .

ثم كيف يثق المؤلف بمنجم يهودي أنه حفظ عنده موروثات إسلامية ؟ ونحن نعلم ولا نشك أن اليهود حرفوا الكتب التي أمروا أن يحفظوها وهي التوراة ، فهل سيحفظون لنا مخطوطات عن واحد منهم فنثق بهم !!!!!

ثانيا : هرمجدون بين الوهم والحقيقة

وكلمة هرمجدون كلمة أصلها عبري ، معناه الحرفي : جبل مجيدو [كلمة هار تعني جبل في العبرية ومجيدو اسم الوادي]، وهارمجيدو دمجت لتكون هرمجدون وهي تبعد ٥٥ ميلا عن تل أبيب ، ويعتقد اليهود أن أي قائد يسيطر عليها يمكن أن يصمد أمام أعدائه مهما كانت قوتهم .

ويعتقد النصارى الإنجيليون أن هذه البقعة من أرض فلسطين ستكون مسرحا للمعركة الفاصلة بين قوى الخير والشر ، وهم ينتظرون مجيء المسيح عليه السلام ليقودهم في هذه المعركة الفاصلة.

ويعتقد هؤلاء أن نهاية المعركة ستكون انتصارا حاسما لهم وتدميرا كاملا للوثنيين [أي المسلمين كما يزعمون] وذلك بأن يرتفع النصارى فوق السحاب مع المسيح ، وأما المسلمون فيغرقون في بحيرة النار المتقدة بالكبريت ، وقد تحدثت التوراة المحرفة عن هذه المعركة ، وتحدث عنها كذلك الإنجيل المحرف مصرحا باسمها ، فالاعتقاد في معركة هرمجدون أصله عند اليهود والنصارى تابعوهم في ذلك ، ففي نصوص التوراة المحرفة نجد الإشارة إلى هذا اليوم في سفر حزقيال [بعد أيام

---

[١٩٧] - المرجع السابق صـ ١٢ بتصرف يسير .

كثيرة تفتقد في السنين الأخيرة ، تأتي إلى الأرض المستردة من السيف ، المجموعة من شعوب كثيرة على جبال اسرائيل التي كانت خربة للذين أخرجوا من الشعوب وسكنوا آمنين كلهم ، وتصعد وتأتي كزوبعة ، وتكون كسحابة تغشى الأرض ، أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك]

كما تتحدث التوراة المحرفة عن أوصاف ذلك اليوم فتقول :

[ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء يأجوج على أرض اسرائيل -يقول السيد الرب – إن غضبي يصعد وغيرتي في نار سخطي ، تكلمتُ أنه في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في أرض اسرائيل ، فترعش أمامي سمك البحر ، وطيور السماء ووحوش الحقل ، والدابات التي تدب على الأرض ، وكل الناس الذين على وجه الأرض ، وتندك الجبال ، وتسقط المعاقل ، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض واستدعي السيف عليه في كل جبالي . يقول السيد الرب : فيكون سيف كل واحد على أخيه ، وأعاقبه بالوباء والدم ، وأمطر عليه وعلى جيشه ، وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطرا جارفا وحجارة برد عظيم ونارا وكبريتا] ([١٩٨])

وتحدث التلمود أيضا عن معركة الهرمجدون وجاء فيه : [قبل أن يحكم اليهود نهائيا لا بد من قيام حرب بين الأمم ، يهلك خلالها ثلثا العالم ، ويبقى اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر ، وحينئذ تنبت أسنان أعداء بني إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعا خارج أفواههم] .

وحتى بروتوكولات سفهاء صهيون تتحدث عن هذه المعركة :

[إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض ، وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل، إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا ، ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤا إلا لأيد عريقة كأيدينا ... إن القتال المتأخر بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم مثيلا لها من قبل، والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم]([١٩٩])

ويتحدث الإنجيل المحرف أيضا عن معركة الهرمجدون ، وهو يتميز في حديث عنها بأنه يعين الموضع الذي ستقع فيه هذه المعركة ، جاء في سفر الرؤيا وعلى لسان عيسى عليه السلام:- [ثم سكب الملاك

---

[١٩٨] – انظر سفر حزقيال –الإصحاح الثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون .

[١٩٩] – بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة محمد خليفة التونسي البرتوكول الخامس صـ ١٢٣ .

جامه على النهر الكبير الفرات فنشف ماؤه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس ، ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ، ومن فم النبي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع . فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء . ها أنا آتي كلص طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عريانا فيروا عريته فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية هرمجدون .]([٢٠٠])

وليس من العجيب بعد ما رأينا هذه النصوص في كتبهم أن نرى أن رجال الدين اليهود والنصارى يذكون في المسيحيين هذا الاعتقاد ويحيونه ، ولقد جنى هؤلاء الكثير من الفوائد والمغانم من وراء زرع الشعور بدنو القيامة في الناس ، ولا شك أن الحديث عن غيبيات ستحدث وربطها بغيبيات حدثت يجذب الانتباه بقوة ، ويجلب وبإلحاح وشدة نظر من يوجه إليه الحديث ، فالخوف من المجهول وترقب المنتظر أمر طبيعي في مكنون النفس البشرية .

ولم يقصر رجالهم في استغلال تلك المشاعر ، وراحوا يؤججون نيران الحماسة في الناس للمساهمة في صنع الأحداث الجسام التي ستسبق مجيء اليوم الآخر ، ومن تلك الأحداث طبعا عودة اليهود إلى فلسطين واستيلاؤهم على القدس وهدمهم للأقصى وبناؤهم للهيكل ، ومن ثم انتظارهم لمجيء المسيح وحدوث المعركة الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر ، أو ما يعرف بمعركة (الهرمجدون) ومجدو التى تنسب إليها تلك المعركة هي مكان في أرض فلسطين يسميها اليهود والنصارى بحسب ما ورد في مصادرهم ، ويعتقد اليهود والنصارى أن جيشا من مائتي مليون جندي يأتون إلى مجدو لخوض حرب نهائية .

ومن العجب أن الحديث عن الهرمجدون يتداول الآن على نطاق واسع بين الكتاب والمثقفين والسياسيين في الدول الغربية ، بل وتنظم رحلات دورية إلى الأرض المقدسة ، يطوف فيها المسيحيون في انحائها ويشرح لهم ، كيف ومتى ستحدث الأحداث العظام في هذه المناطق!!!. بل ويسمون دولا بعينها ويجعلونها في مصاف قوى الشر التي ستشهد معركة هرمجدون منها ،ويطبقون هذه النبوءات على وقائع ومسميات فيعتقدون أن بلاد الشرق قوة شريرة ، وأن هذه القوة الشريرة ستقدم يوما على حرب قوى الخير ممثلة في إسرائيل وأشياعها من دول العالم

---

[٢٠٠] –سفر الرؤيا : الإصحاح السادس عشر ١٢-١٦

النصراني الغربي وهم يضمون المسلمين إلى جانب قوى الشر ، ويتنوع هذا التطبيق أو يتلون حسب الأحوال السياسية فقد كانت روسيا يوما ما في مصاف قوى الشر ، بينما الآن مثلا صدام حسين سيقود قوى الشر لتدمير اسرائيل ولكن تحالف قوى الخير سيهزمه !!![٢٠١]

وقد حدد اليهود والنصارى سنة ٢٠٠٠م لتحقيق نبوءتهم ، وقيام هذه المعركة العالمية ، وها هو الزمان قد هدم معتقدهم على رؤسهم ، وجلعت سنة ٢٠٠٠م وانتهت وتتابعت بعدها السنون ، ولم نرى مسيحا ولا حربا ، ولا شيء غير ما تنبئ بحدوثه الأسباب الواقعة .

ما رأيك يا أخي وأنت تقرأ هذه الخرافات والتهويمات ، ما رأيك في هذه العقول ، التى تؤمن بهذه الخزعبلات، كيف يتجمع ٢٠٠مليون جندي في مكان صغير مثل هرمجدون ، اللهم إلا إذا كان هذا الجيش من صغار النمل .

إن عقلاءهم أبدوا كثيرا من الاستغراب والتشكك في مثل هذا الكلام ، فهاهي جريس هالسل صاحبة كتاب النبوءة والسياسة تتساءل :-

-كيف تقوم معركة عالمية في هذا الوادي الصغير جدا الذي لا يتسع حتى لبعض الدبابات ؟؟.

- كيف يكون الرب إله الرحمة الذي سيعود ليحقق السلام العالمي بإصدار أحكام بالقتل تقتل معظم شعوب الأرض ، ومن بينهم ثلثى الشعب اليهودي ، كما يدمر معظم العالم ؟؟.

-لماذا يريد الرب إله الرحمة منا أن نستعمل الأسلحة النووية ؟؟.

أسئلة كثيرة وخطيرة حول هذا المعتقد الخيالي ، والموهوم ، تطرحها هذه الكاتبة المسيحية ، وغيرها من عقلاء القوم !!!!!! [٢٠٢]

والعجيب بل والغريب أن تجد كتابا إسلاميين كتبوا ما يطابق هذه النظرية الغريبة ، وكأن حديث اليهود والنصارى عن هرمجدون هو حق بكل تفاصيله ، بل نجد مثلا هذا الكاتب يورد أقوال أحبار اليهود ، وقساوسة النصاري عن هذه المعركة ، ثم يبحث عن شيء يوافق هذا المعتقد اليهودي والنصراني من كتبنا وتراثنا ، ولما لم يجد يعتسف

---

[٢٠١] - انظر المسيح اليهودي ونهاية العالم تأليف رضا هلال صـ ١٣٦ ، وأيضا الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي اسماعيل الكيلاني صـ ١١ مكتبة الأقصى قطر ، وقبل الكارثة نذير ونفير تأليف / عبد العزيز بن مصطفى كامل صـ٢٠٦-٢١٦ الطبعة الثانية طبعة المنتدى الإسلامي بلندن .

[٢٠٢] - النبوءة والسياسة : جريس هالسل صـ ٣٠-٣٦

النصوص ، أو يخترع ، أو يبحث عمن يخترع له ، ليس ها تجن على الكاتب - يعلم الله - ويكفي تدليلا على ما أقول أن تنظر فيما كتبه في مقدمته للكتاب ، أو قبل البيان كما يقول ، فقد بدأ بقوله إن اليهود والنصارى موقنون بقرب حرب الخلاص والتي يسمونها هرمجدون ، بل إن بعضهم يحدد للك مواقيت بعينها اعتمادا على نصوص عندهم في كتابهم المقدس ، فاليهود يتوقعونها في عام ١٩٩٨م ، والنصارى يحسبونها في خريف ٢٠٠١م ، ثم أننا أي المسلمين [وهذا كلامه] قد يكون الأمر كما يقولون ، وقد يتقدم قليلا ، وقد يتأخر قليلا [٢٠٣]، هؤلاء هم أئمته ، وهذه هي مصادره وعمدته ، وليست هذه هي مصادره فحسب بل عنده أيضا تنبؤات نوستراداموس وهو منجم فلكي يهودي عاش في القرن السادس عشر الميلادي وتوفي سنة ١٥٥٩م وكتب تنبؤات مستقبلية !!!!! بل وأيضا ولا تعجب رؤيا رأتها امرأة في منامها [٢٠٤] وهذه أول القصيدة .....!!!!!!!!!!

وهل معنى أن النصارى يقولون أو اليهود بشيء إن ها الشيء حق ، كلا وألف كلا ، فهم أصحاب عقيدة باطلة ، وأصحاب كتاب محرف ، وتاريخ طويل من التحريف والتخريف والأباطيل .

وهل معنى أن امرأة رأت رؤيا في منامها عن شيء أن هذا الشيء حق ، يقول الإمام الشاطبي : (وربما قال بعضهم : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال لي كذا وأمرني بكذا ، فيعمل بها ويترك بها معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة ، وهو خطأ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعا على حال ، إلا أن تعرض على مافي أيدينا من الأحكام الشرعية ، فإن سوغتها عمل بمقتضاها ، وإلا وجب تركها والإعراض عنها ، .....

ولا يقال : إن الرؤيا من أجزاء النبوة ، فلا ينبغي أن تهمل .... لأنا نقول : إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة ، فليست إلينا من كمال الوحي ، بل جزء من أجزاءه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه ، وقد صرفت إلى جهة البشارة والنذارة ، وهو كاف .

---

[٢٠٣] - انظر الكتاب المذكور صـ ٦،٥

[٢٠٤] - انظر الكتاب المذكور صـ ١٣، ١٥

وأيضا فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها أن تكون صالحة من الرجل الصالح ،وحصول الشرط مما ينظر فيه ، فقد تتوفر ، وقد لا تتوفر .

وأيضا فهي منقسمة إلى الحلم ، وهو من الشيطان ، وإلى حديث النفس ، وقد تكون سبب هيجان بعض أخلاط ، فمتى تتعين الصالحة حتى يحكم بها وتترك غير الصالحة ؟...

يحكى أن شريك بن عبد الله القاضي دخل على المهدي ، فلما رآه قال : على بالسيف والنطع . فقال: ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي وأنت معرض عني ، فقصصت رؤياي على من عبرها ، فقال لي : يظهر لك طاعة ويضمر معصية .

فقال له شريك : والله ما رؤياك برؤيا إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولاأن معبرك بيوسف الصديق عليه السلام ، فبالأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين ؟ فاستحيى المهدي ، وقال : أخرج عني . ثم صرفه وأبعده .([٢٠٥])

لكن نحن نقول ونسأل هل ورد هذا الإسم في أي حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو حتى في حديث ضعيف ؟ ونجيب بكل ثقة ويقين : لا يوجد حديث واحد مرفوع الى النبى يعتمد عليه باتفاق أهل المعرفة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .؟؟؟؟

هل ورد هذا الاسم في شروح العلماء الذين شرحوا الأحاديث ، وكتبوا فيها المجلدات الطوال ، وبحثوا في سهلها وحزنها ، وتحروا الدقة والجدة في ذلك ؟؟؟؟ لا يوجد

وإذا كان بعض الكتاب يتشدق بأن هذا مما روي عن أهل الكتاب وهو مما تجوز روايته عنهم ، فنقول لهم إن مايروي عن أهل الكتاب يروى للإستئناس لا للإستشهاد ، ومما يروى عن أهل الكتاب يروى فيما هو مسكوت عنه من القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وما يذكره أهل الكتاب عن هذه المعركة ليس من المسكوت عنه ، فهم يصرحون بأن هذه المعركة هي بداية نهاية العالم ويؤقتون هذه البداية ، ويؤقتون نهاية العالم تبعا لذلك ، وهذا التوقيت مما جاء القرآن بإثباته لله عزوجل وحده ونفيه عمن عداه ، (إن الله عنده علم الساعة) [سورة لقمان : من الآية

---

[٢٠٥] – الاعتصام : الإمام الشاطبي – الطبعة الأولى – مطبعة المنار ١٣٣١هـ ١٩١٣م صـ ٣٥١_ ٣٥٤ بتصرف يسير.

٣٤][ومعنى معرفة توقيت العلامات الكبرى أن نعرف موعد الساعة ، لأن هذه تأتي عقب تلك ، فكيف نقول إن هذا من المسكوت عنه .

وتأمل معي ماذا قال الحافظ ابن حجر في التعليق على حديث الرواية عن بني اسرائيل والذي استشهد به الكاتب على نقله عن أهل الكتاب ، أما الحديث فهو : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ)

يقول الحافظ ابن حجر : قوله: (وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) أى لا ضيق عليكم فى الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر فى كتبهم ثم حصل التوسع فى ذلك، وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن فى ذلك لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار، وقيل: معنى قوله"لا حرج ": لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرا، وقيل: لاحرج فى أن لا تحدثوا عنهم لأن قوله أولا: " حدثوا"صيغة أمر تقتضى الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله:"ولا حرج"أى فى ترك التحديث عنهم. وقيل: المراد رفع الحرج عن حاكى ذلك لما فى أخبارهم من الألفاظ الشنيعة نحو قولهم (اذهب أنت وربك فقاتلا) وقولهم: (اجعل لنا إلها) وقيل: المراد ببنى إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب، والمراد حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف، وهذا أبعد الأوجه. وقال مالك المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا. وقيل: المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد فى القرآن والحديث الصحيح. وقيل: المراد جواز التحدث عنهم بأى صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال فى التحدث عنهم، بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل فى التحدث بها الاتصال، ولا يتعذر ذلك لقرب العهد. وقال الشافعى: من المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى حدثوا عن بنى إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحدث به عنهم وهو نظير قوله:"إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم"ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه.

وتأمل معي أيضا قول سيدنا عبد الله بن عباس : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله أحدث تقرؤونه

محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم .

- واذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحا ،فأما ما يعلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذي بأيدينا عن المعصوم فذاك متروك ، مردود ، لا يعرج عليه ،ثم مع هذا كله لا يلزم من جواز روايته أن تعتقد صحته ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة قال :كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) [تفرد به البخاري من هذا الوجه]

فهذا الحديث وغيره دليل على أنهم قد بدلوا ما بأيديهم من الكتب السماوية ، وحرفوها، وأولوها، ووضعوها على غير مواضعها ، ولا سيما ما يبدونه من المعربات التي لم يحيطوا بها علما ، وهي بلغتهم فكيف يعبرون عنها بغيرها ،ولأجل هذا وقع في تعريبهم خطأ كبير، ووهم كثير ، مع ما لهم من المقاصد الفاسدة ، والآراء الباردة ،وهذا يتحققه من نظر في كتبهم التي بأيديهم ، وتأمل ما فيها من سوء التعبير ، وقبيح التبديل ،والتغيير، وهذه التوراة التي يبدونها ويخفون منها كثيرا فيما ذكروه فيها تحريف ، وتبديل ، وتغيير ، وسوء تعبير.

روى ابن جرير عن عبدالله بن مسعود أنه قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا ببباطل والله أعلم

ثالثا : هل تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو العراق للكويت ، وظهور حركة طالبان ، وهجوم الغرب على طالبان ، وحصار قوات التحالف للعراق ؟

والحقيقة أنني ما كنت أتصور أن يصدر مثل هذا الهراء على لسان مسلم ، بل ويتجرأ وينسبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتذكرت وأنا أقرأ هذا الكلام تعليقا للحافظ ابن حجر على حديث موضوع في فضل شهر رجب يقول : (وهذا حديث موضوع ظاهر الوضع ، قبح الله من وضعه ، فوالله لقد قف شعري من قراءته في حال كتابته ، فقبح الله من وضعه ما أجرأه على الله وعلى رسوله)([٢٠٦])

أما هذا الكاتب فينسب هذا الكلام وغيره لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو يقول وبئس ما يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث عن حرب الخليج ، وعما يدور فيها بالتفصيل ، وعن فرار حاكم الكويت إلى العراق ، وحصار قوات التحالف للعراق وظهور حركة طالبان ، وهجوم الغرب على حركة طالبان ، بل وذكر أسماء بعض الرؤساء العرب وتاريخ حكمهم مثل عبد الناصر والسادات وبالطبع صدام حسين .

من أين له كل هذا انظر معي ولا تتعجب ولا تستغرب فللكذب أهله ، ولا أقول رجاله ، وللتلفيق والدس صناع ، فهو يقول إن هذا الأثر الذي وردت فيه كل هذه الأحداث والتفصيلات والتحديد للسنوات والشخصيات كل هذا وجد في أثر عزيز ، ومخطوطة نادرة من القرن الثالث الهجري موجودة بدار الكتب الإسلامية بكتبخانة الترك لعالم مدني كان يعيش بالمدينة المنورة وهو كلدة بن زيد بن بركة المدني .

ياللعجب فهذا المخطوط العجيب لم يسمع به أحد من قبل ولم يتحدث عنه أحد من قبل إلا هذا الدعي الغرير وصاحبه الذي نقل عنه ونحن نقول لهما :

أين ترجمة ابن بركة هذا ؟ ؟ لايوجد له ذكر في وفيات الأعيان لابن خلكان ، ولا في الوافي بالوفيات للصفدي ، ولا في شذرات الذهب لابن العماد ، ولا في الفهرس لابن النديم ، ولا حتى في كتب الألقاب ، ولا في التراجم المعاصرة كالأعلام للزركلي ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان .فأين نجد ترجمة صاحبكم أفيدونا

---

[٢٠٦] – انظر للحافظ ابن حجر : تبيين العجب بما ورد في فضل رجب _ صـ ٤٧ تحقيق ابراهيم بن اسماعيل آل عصر طبعة دار الكتب العلمية بيروت

ثم ما هو السر في عدم ظهور هذا المخطوط إلا بعد حرب الخليج وانتهاء الأحداث .

وانظر معي أخي الكريم إلى ركاكة أسلوب الحديث ، تدرك معي أنه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالأحاديث الموضوعة كما يقول الإمام ابن القيم عليها ظلمة وركاكة ومجازفات باردة تنادي على وضعها واختلاقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم.([٢٠٧])

والشيء الأعجب من كل هذا أن تخفى هذه المخطوطة وأمثالها مما يستشهد به هذا الكاتب وأمثاله أن تخفى هذه المخطوطات على علماء الأمة حتى هذا القرن مع تحريهم وحرصهم عن كل ما ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتغالهم عليه في كل عصر من العصور، ومع ذلك لم يرى أحد هذا المخطوط ، إلا من نقل عنه هذا الكاتب خرافاته.

يقول الكاتب [وعلامات التعجب من عندي]: (وقد ساق الأستاذ داود أثرا عجيبا في كتابه: (المهدي المنتظر على الأبواب) في بعض المخطوطات الاسلامية !!!! في دار الكتبخانة بتركيا تحت مسمى أو تصنيف (٣٦٦٤/ تراث المدينة المنورة) لعالم مدني كان يعيش بالمدينة المنورة في القرن الثالث الهجرى !!!!!!! وهو (كلدة بن زيد بن بركة المدنى) بعنوان (أسمى المسالك لأيام المهدي الملك لكل الدنيا بأمر الله المالك ومما جاء في هذا المخطوط العجيب !!!!!!! مانصه : (وحرب في بلد أصغر من عجب الذنب ، يجمع أهل الدنيا لها ، كأنها أغنى بلد أولم عليها الوالمون ، وأمير فيها سلم رايته لزعيمة الشر الآتية من الشواطئ البعيدة الغربية بداية آخر الزمن فتجمع له صريخها من كل الدنيا ، وترد له عرش الملك ويخرب عراق في ملاحم بداية آخر الزمن . ويحارب أمير الذنب الصغير جيوش المهدي ، وحان خراب البلد مرة أخرى لأن أميرها سر الفساد .....) والنص مع غرابته وإثارته (والكلام لا يزال للكاتب) لا يحتاج إلى تعليق خاصة أن الجميع شاهدوا وعلموا ماكان من حرب في بلد أصغر من تلك العظمة الناتئة في أسفل الظهر وتسمى عجب الذنب وهي الكويت ..... وعلم الجميع أن قوات

[٢٠٧] – المنار المنيف : ابن القيم صـ ١١٠ ، وانظر أيضا نبوءات النبي في فتن آخر الزمان والرد على كتاب هرمجدون صـ١٢،١٣ بتصرف.

التحالف أو الجماعة قد اجتمعوا من أجلها (٣٧) .) صـ٢٠، ٢١ من الكتاب المذكور .

انظر يا أخي هذه الجرأة العجيبة في النقل وكأنه ينقل عن صحيح البخاري مثلا ، ينقل دون أن يذكر حتى سند الحديث ، ومرجعه ، ودرجته (والحديث الذي يساق للقراء والباحثين دون أن تذكر معه درجته ومرجعه : حديث لا يجمل الاعتماد عليه ، ولا الاطمئنان إليه ، وقد ينظمه المؤلف في سياق يوهم أنه صحيح ، فيؤسس عليه قاعدة كلية ،أو يستدل به لقضية جزئية ، وهو لا يصلح لهذا ولا لذاك لأنه في ذاته غير صحيح)([٢٠٨])

نعم هذا الكلام لا يصلح للإستدلال أصلا لأنه ليس بحديث ، بل هو كلام ظاهر الوضع، ومن العجيب كما قلت أن هذا المخطوط لم يسمع به أحد من علماء الأمة ، على همتهم وتحريهم في البحث عن كل ماينسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الكتاب كله مبني على هذا المخطوط العجيب ، الذي لم يطلع عليه الكاتب بل نقل عمن نقل عنه ، وأظن أيضا أن عيسى داود لم يطلع هو الآخر على هذا المخطوط !!!!!

إن أدلة وضع تلك النقول على رسولنا – صلى الله عليه وسلم – أكثر من أن تحصى: منها انفراد ذلك الكاتب المجهول بها، وانفراد ذلك المخطوط المزعوم بها، وانفراد مؤلفه المجهول بها مع كثرة ما كتبه أئمة الإسلام في جميع عصوره عن المهدي وعلامات الساعة، وجمعهم ما صح في ذلك وما ضعف وما بطل، وليس فيها تلك النقول!!!!!

ثم أين إسناد ذلك المؤلف المزعوم أنه من علماء القرن الثالث؟ حتى ننظر في إسناد خبره ذاك، وهذه هي فضيلة الإسناد! إذ (لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)، كما كان يقول عبد الله بن المبارك وغيره من أئمة الإسلام!!!!!!!

ثم من يخفى عليه ما تضمنته تلك النقول من الركاكة والسماجة في الألفاظ والأسلوب، التي هي أبعد ما تكون عن بيان وجلالة الأحاديث النبوية، فمن أمثلة سماجة هذه النقول النص التالي، وهو في كتاب هرمجدون (ص: ٢٢): "وفي عراق الشام متجبر ... و ... وسفياني، في إحدى عينيه كسل قليل، واسمه من الصدام، وهو صدام لمن عارضه،

[٢٠٨]–مقدمة تحقيق جامع العلوم والحكم : دكتور/الأحمدي أبو النور جـ ١صـ ٢٥،٢٦

الدنيا جمعت له في (كوت) صغير، دخلها وهو مدهون، ولا خير في السفياني إلا بالإسلام، وهو خير وشر، والويل لخائن المهدي الأمين".
إلى غير ذلك من النقول (كما في ص:٣٩، ٤٠ مما لا يخفى كذبه على عاقل، فضلاً عن عالم!!.

إن اعتماد مؤلف كتاب (هرمجدون) على مثل هذه النقول، يدل على أحد أمرين: إما على جهل بالغ بالسنة، لا يجوز معه أن يتفوه فيها إلا بما صححه الأئمة المعتبرون، أو أنه ضم مع الجهل السابق غرضاً دنيوياً فاسداً، أراد من ورائه الشهرة والمال، أو إفساد دين الأمة وتصوراتها.

المقصود أن المؤلف جاهل - ولا شك - بالسنة، وواضح كل الوضوح أنه ليس من أهل التخصص فيها، لا من قريب ولا من بعيد، ومثله لا يجوز أن يقرأ له في العلم الذي يجهله، ولا أن نسمح له أن يكتب فيه.

وليس هذا المخطوط العجيب هو قاعدة الكتاب فقط بل له شقيق آخر مخطوط عجيب آخر ، أيضا من القرن الثالث ، واسم المخطوط الثاني (سلم وحرب في آخر زمان الرب) !!!!!!

وصاحبه اسمه (الحارث بن سلام بن معاذ بن مذحان) ، وهو بذلك يصر على تجهيل علماء الأمة جميعا من القرن الثالث ، وحتى الآن الذين لم يطلعوا على هذين المخطوطين ، ولم يطلع عليه إلا هذا الداود الذي نقل عنه دون حتى أن يكلف نفسه ، أن يبحث عن اسم هذا المخطوط في كتب الفهارس .

نقل عن هذين المخطوطين العجيبين !!!!!!! كما يقول هو ، وأسس عليهما كل الكتاب ، وبنى عليهما تفسيراته وتأويلاته لأحداث الساعة الراهنة ، ثم تبجح وقال إن هذكلام النبي .

في أحد هذين المخطوطين ذكرت أسماء [صدام - هتلر - جمال عبد الناصر - أنور السادات - أمريكا -المانيا وهذه الأخيرة مذكورة جرمن هكذا ورد في المخطوطة المزعومة] ،

في هذين المخطوطين ذكرت وقائع تاريخية ، بأزمانها ، وأحداثها وأشخاصها ، ونتائجها ، وكل هذا بناء على كلام مرسل ، عار عن الصحة ، بل عار حتى عن النقل الصحيح ،فإلى متى سنظل في هذا التيه نلهث وراء العجائب والخرافات والخزعبلات ، ويحاول الكاتب أن يحشو بعض النصوص في ثنايا تأويلاته ، واستدلالاته ، لكنه وللأسف الشديد

يختار من النصوص أضعفها فهو مثلا ، ونضرب مثلا واحد يستشهد على قوله بأن الرسول صلى الله عليه وسلم تنبأ بفرار حاكم الكويت إلى أمريكا واستغاثته بالروم !!!!

يقول : روى نعيم بن حماد [وهو يصر على ذكر نعيم بن حماد بوصفه شيخ الامام البخاري] وذلك في كل نقل عنه ، وقد سبق أن أوردنا لك ما يتعلق بنعيم بن حماد ، لكن هذا الكاتب يشحن كتابه بكثير من الأباطيل والمناكير ، مما نقله عن كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد، وإن كان نعيم بن حماد عالماً صادقاً، لكن كتابه هذا أكثره باطل أو من الإسرائيليات وعذر نعيم بن حماد في ذكره لها: أنه كان يذكرها بأسانيدها، ليُحيل قارئ كتابه (من أهل العلم) إلى تلك الأسانيد، ليميز صحيحها من ضعيفها، وهذا العذر غير مبسوط لمؤلف كتاب (هرمجدون)؛ لأنه حذف الأسانيد، بل تجاوز ذلك إلى إيهام القراء بصحة ما ينقله من كتاب (الفتن)، بثنائه على نعيم بن حماد بأنه شيخ البخاري؛ وكأن ذلك وحده كافياً لقبول كل ما أورده في كتابه دون النظر في إسناد!!! بل لقد تجاوز المؤلف ذلك كله إلى اعتماد نصوص كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد، وكأنها نصوص في القرآن أو صحيح السنة.

يقول الكاتب : روى نعيم بن حماد في كتاب الفتن بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سيكون من بني أمية رجل أخنس بمصر يلى سلطانا يغلب على سلطانه ، أو ينتزع منه فيفر إلى الروم فيأتي بالروم إلى أهل الاسلام فذلك أول الملاحم)

وروى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : (إذا رأيت أو سمعت برجل من أبناء الجبابرة بمصر له سلطان يغلب على سلطانه ثم يفر إلى الروم فذلك أول الملاحم يأتى بالروم إلى أهل الاسلام) انتهي كلام الكاتب .

وهذه الأحاديث التي استدل بها الكاتب لم تثبت نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فهي أولا من مرويات نعيم بن حماد في كتابه الفتن ، وهو كما سبق أن أوردت لك عنده مناكير في الفتن .

وثانيا في الحديث الأول مجهول وهو ابن أبي ذر ، وقد رواه السيوطي عن الروياني وابن عساكر، وقال عنه ابن عساكر معلول ، وقد ضعفه الألباني [انظر ضعيف الجامع حديث رقم ٣٣٠٨] ، والحديث الثاني ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٨/٧) وقال : رواه الطبراني في

الأوسط ، وأبو النجم صاحب أبي ذر لم أعرفه ، وابن لهيعة فيه ضعف .أ.هـ

قال المناوي قال ابن عساكر : رواه الوليد بن مسلم عن أبي لهيعة .....

قال أبو سعيد بن يونس:والحديث معلول إلى هنا كلام ابن عساكر ، وأقره عليه الذهبي ([٢٠٩])

والحديث ضعفه الألباني أيضا في ضعيف الجامع رقم (٣٣٠٨) ([٢١٠])

أما استنباطات الكاتب من الحديث على فرض صحته فأوهى من أن يرد عليها فمن قال إن أمير الكويت من بني أمية ، وإذا كان قد تحقق من ذلك فلماذا لم يذكره ، وأيضا إصراره على أن كلمة مصر في الحديث بمعنى بلد ، مع أن إحدى الروايات التي لم يذكرها الكاتب وأغفلها (ويفر إلى الروم فيأتي بهم إلى الاسكندرية) مما يعنى أن المقصود بمصر في الحديث هي دولة مصر .

يقول الكاتب أيضا صـ ٣٤، ٣٥ إن الفتنة الحقيقية وهجوم الغرب السافر لم يكن إلا بعد ظهور أصحاب الرايات السود (طالبان) واختلافهم فيما بينهم وإليكم الآثار التي تبين سبب مجيء الغرب :

١- روى نعيم بن حماد بسنده إلى رجاء بن أبي سلمة عن عقبة ابن أبي زينب أنه قدم بيت المقدس يتضمن ، فقلت له : (لعلك إنما تخاف المغرب ؟ قال : لا إن فتنتهم لن تعدوهم ما لم تخرج الرايات السود فإذا خرجت الرايات السود فخف شرهم .

٢-قال نعيم بن حماد بسنده عن الزهري قال : (إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفر ....)

والأثران اللذان أوردهما الكاتب أحدهما موقوف على عقبة بن أبي زينب ، وهو تابعي صغير قال فيه الحافظ بن حجر : مقبول يعنى إن توبع وإلا فلين .

والأثر الثاني موقوف على الزهري ، وهو أيضا من صغار التابعين فهل نأخذ ديننا وخاصة في مثل هذه الأمور الخطيرة من أقوال آحاد التابعين .([٢١١])وهو حتى لم يصح عن الزهري ، ففي سنده سعيد بن يزيد التنوخي مجهول ، وعبد الله بن مروان قال فيه ابن حبان : يلزق المتون الصحاح

---

[٢٠٩] – فيض القدير : الامام المناوي جـ ٤صـ ١٣١

[٢١٠] – انظر كتاب نبوءات النبي في آخر الزمان والرد على كتاب هرمجدون : محمد بيومي صـ ١٧

[٢١١] – المرجع السابق : صـ ٣٤ بتصرف يسير .

التي لا يعرف لها إلا طريق واحد بطريق آخر لتشتبه على من الحديث صناعته ، لا يحل الاحتجاج به .([٢١٢])

وتأمل معي قول ابن حبان يلزق لتعرف وظيفة صاحب هذا الكتاب ، وما صنعه في كتابه، وكأن ابن حبان يتحدث عنه ، فياللعجب الطيور على أشكالها تقع !!!!!!!

ثم إن نعيم بن حماد أورد هذا الأثر يقصد بأصحاب الرايات السود بني العباس فإنه أورده في باب خروج بني العباس ، ثم لا ننسى ما في نعيم من ضعف ، ثم لا ننسى أن أصحاب الرايات السود الذين ذكرهم الكاتب وهم طالبان لم يختلفوا فيما بينهم .

ومن العجب أن تجد أكثر الكتاب في هذا الزمان يستدلون بأحاديث الرايات ، مع أن كثيرا منها إن لم تكن كلها ، أحاديث وضعت لنصرة بنى العباس أو بنى أمية ، أو شيعة على بن أبي طالب ، أو للنكال بواحدة من المذكورين .، ومن المعروف بين علماء الحديث أن أحاديث (الرايات السود) و(السفياني) من الأحاديث التي تعددت طرقها وألفاظها في كتب الملاحم وأشراط الساعة، حتى إن طرقها لتكاد تملأ مصنفا كاملا، وقد فرح بها فرق وطوائف، فزادوا فيها، وما زالوا!!

ومن طالع تلك الأحاديث تذكر قول الإمام أحمد:"ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير" (الجامع) للخطيب رقم (١٥٣٦)، وهو يعني بذلك: كثرة الكذب والروايات المردودة في هذه الأبواب الثلاثة، وقلة ما يصح فيها من الأحاديث.

فحديث (الرايات السود) له طرق وألفاظ بالغة الكثرة، وقد امتلأ بها كتاب (الفتن) لنعيم بن حماد. لكني لم أجد فيها حديثا صالحا للاحتجاج، لا مرفوعا، ولا موقوفا على أحد الصحابة.

وأقوى ما ورد فيها من المرفوع –وليس فيها قوي–، الأحاديث التالية:

أولا: حديث ثوبان –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:"إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من خراسان فأتوها، فإن فيها خليفة الله المهدي"، وله ألفاظ أخرى مطولة.

وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد (٢٧٧/٥) من طريق شريك بن عبد الله، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي قلابة، عن ثوبان به.

وهذا إسناد منقطع، حيث إن أبا قلابة لم يسمع من ثوبان شيئا، كما قال العجلي رقم (٨٨٨).

---

[٢١٢] – كتاب المجروحين : جـ ٢ صـ ٣٦ و كتاب لسان الميزان جـ ٣صـ ٣٥٦

وقد ذكره ابن الجوزي من هذا الوجه في (العلل المتناهية رقم ١٤٤٥)، وأعله بعلي بن زيد بن جدعان.

وأخرجه ابن ماجة رقم (٤٠٨٤)، والبزار في مسنده (المخطوط -النسخة الكتانية- ٢٢٣)، من طرق صحيحة عن عبد الرزاق الصنعاني، عن الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان، بنحوه مطولاً مرفوعاً. وقال البزار عقبه:"إسناده إسناد صحيح".وقال البيهقي عقبه في (الدلائل ٥١٥/٦):"تفرد به عبد الرزاق عن الثوري".

قلت: إسناده أقل أحواله الحُسن في الظاهر، وحتى التفرد الذي ذكره البيهقي منتقض بما أخرجه الحاكم في (المستدرك ٤٦٣/٤-٤٦٤)، قال:"أخبرنا أبو عبد الله الصفار: حدثنا محمد بن إبراهيم بن أورمة: حدثنا الحسين بن حفص: حدثنا سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان..."، وقال الحاكم عقبه:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين".

وقد نقل هذا الإسناد -كما ذكرته- الحافظ ابن حجر في (إتحاف المهرة ٥٣/٣ رقم ٢٥١٣)، مما يُبعد احتمال وقوع خطأ مطبعي فيه.وإسناد الحاكم رجاله ثقات، إلا محمد بن إبراهيم بن أورمة، فلم أجد له ذكراً، إلا في هذا الإسناد الذي صححه الحاكم.

لكن للحديث وجه آخر أخرجه الحاكم (٥٠٢/٤)، وعنه البيهقي في (الدلائل ٥١٦/٦)، من طريق عبد الوهاب بن عطاء، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان موقوفاً عليه غير مرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قلت: فمع هذا الاضطراب في إسناده، مع نكارة متنه، وعدم قيام إسناد من أسانيده، بتحمل هذا الحد من التفرد لا أستطيع أن أطمئن إلى قبول هذا الحديث، خاصة مع عبارات لبعض أئمة النقد، تدل على تضعيف الحديث من جميع وجوهه.

بل قد وقفت على إعلالٍ خاصّ واستنكار خاص لهذا الحديث على خالد الحذاء (مع ثقته) فقد جاء في العلل للإمام أحمد برواية ابنه عبد الله رقم (٢٤٤٣): "حدثني أبي، قال: قيل لابن عُليّة في هذا الحديث: كان خالد يرويه، فلم يلتفت إليه، ضعف ابن عليّة أمره. يعني حديث خالد عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في

الرايات" وانظر الضعفاء للعقيلي - ترجمة خالد بن مهران الحذاء - (٣٥١/٢ رقم ٤٠٣) والمنتخب من علل الخلال لابن قدامة (رقم ١٧٠).

ثانياً: حديث عبد الله بن مسعود.قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق، معهم رايات سود، فيسألون الخير، فلا يُعطونه، فيقاتلون فيُنصرون، فيُعطون ما سألوا، فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها قسطاً، كما ملؤوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم ولو حبواً على الثلج".

أخرجه ابن ماجة (رقم ٤٠٨٢)، والبزار في مسنده (رقم ١٥٥٦-١٥٥٧)، والعقيلي في (الضعفاء) ترجمة يزيد بن أبي زياد (١٤٩٤/٤)، وابن عدي، ترجمة يزيد بن أبي زياد (٢٧٦/٧)، من طريق يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس النخعي، عن عبد الله بن مسعود به مرفوعاً.

وقال عنه ابن كثير في (البداية والنهاية ٢٧٨/٩):"إسناده حسن"، وحسنه الألباني أيضاً في (سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٨٥).

قلت: وهو كما قالا عن إسناده، في الظاهر قابل للتحسين.

لكن أول ما يلفت الانتباه إلى ما في هذا الإسناد من النكارة هو ما قاله البزار عقب الحديث، حيث قال:"وهذا الحديث رواه غير واحد عن يزيد بن أبي زياد، ولا نعلم روى يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود إلا هذا الحديث".

ومع هذا التفرد الذي صرح به ابن عدي أيضاً عقب الحديث، فإن المتفرد به -وهو يزيد بن أبي زياد- لئن رجحنا حسن حديثه، فإن مثله لا يحتمل التفرد بمثل هذا الإسناد والمتن.

ولذلك ضعف هذا الحديث جماعة، وعدوه في مناكير يزيد بن أبي زياد.

فقد قال وكيع بن الجراح -وذكر هذا الحديث-:"ليس بشيء".

وقال الإمام أحمد:"ليس بشيء" أيضاً.

وبلغ إنكار أبي أسامة حماد بن أسامة لهذا الحديث أن قال عن يزيد بن أبي زياد بخصوص روايته لهذا الحديث:"لو حلف عندي خمسين يميناً قسامة ما صدقته!! أهذا مذهب إبراهيم؟! أهذا مذهب علقمة؟! أهذا مذهب عبد الله؟!" (الضعفاء) للعقيلي (١٤٩٣/٤-١٤٩٥).

ولما أنكر الإمام الذهبي هذا الحديث في (السير ٦/١٣١-١٣٢)، قال بعد كلام أبي أسامة:"قلت: معذور والله أبو أسامة! وأنا قائل كذلك، فإن من قبله ومن بعده أئمة أثبات، فالآفة منه: عمداً، أو خطأ".

لذلك فإن الراجح ضعف هذا الحديث بل إنه منكر.

ومع هذه الأحكام من هؤلاء النقاد، لا يصح الاعتماد على المتابعة التي أوردها الدارقطني في (العلل) معلقة (٥/١٨٥ رقم ٨٠٨)، وأنه قد رواه، عمارة بن القعقاع عن إبراهيم، موافقاً يزيد بن أبي زياد.

وللحديث أوجه أخرى عن ابن مسعود -رضي الله عنه-، كلها ضعيفة، ومرجعها إلى حديث يزيد بن أبي زياد، كما يدل عليه كلام الدارقطني في العلل -الموطن السابق-([٢١٣]).

ثالثاً: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"تخرج من خراسان رايات سود لا يردها شيء، حتى تنصب بإيلياء" أخرجه الإمام أحمد (رقم ٨٧٧٥) والترمذي (رقم ٢٢٦٩) والطبراني في (الأوسط رقم ٣٥٦٠)، والبيهقي في (الدلائل ٦/٥١٦)، كلهم من طريق رشدين بن سعد، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب، عن أبي هريرة به.وأشار الترمذي إلى ضعفه بقوله عقبه:"غريب".

وقال الطبراني:"لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا يونس، تفرد به رشدين".

قلت: ورشدين بن سعد اختلف فيه بين الضعف والترك، وانفراده بهذا الحديث يقتضي نكارة حديثه.ولذلك تعقبه البيهقي بقوله:"ويروى قريب من هذا اللفظ عن كعب الأحبار، ولعله أشبه" ثم أسند رواية كعب الأحبار موقوفة عليه.

وبهذا تبين أن أصل هذا الحديث من الإسرائيليات.

وللحديث بعد ذلك روايات أشد ضعفاً من التي سبقت فإني اخترت أمثل الروايات، ليقاس عليها ما هو دونها.

وبذلك يُعلم أنه لم يصح في الرايات السود حديث مرفوع، ولا حديث موقوف على الصحابة -رضي الله عنهم-.

وأما أحاديث السفياني:

[٢١٣] -وانظر: الأحاديث الواردة في المهدي للدكتور: عبد العليم البستوي (قسم الصحيحة: ١٥٨-١٦٢، وقسم الضعيفة: ٣٠-٣٩).

فلم أجد فيه حديثاً ظاهر إسناده القبول، إلا حديثاً واحداً، أخرجه الحاكم في (المستدرك ٤/٥٢٠) من طريق الوليد بن مسلم الدمشقي، قال: حدثنا الأوزاعي، عن يحيي بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:" يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيس، فيقتلها، حتى لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة، فيبلغ السفياني، فيبعث إليه جنداً من جنده، فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه، حتى إذا صار ببيداء من الأرض، خُسف بهم، حتى لا ينجو منهم إلا المخبر عنهم".وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ولم يتعقبه الذهبي.

ولكن تدليس الوليد بن مسلم تدليس التسوية، مع نكارة حديثه هذا الذي لم أجده إلا من طريقه، يجعلني أتوقف في حديثه، إذ لعله أسقط ضعيفاً بين الأوزاعي ويحيي بن أبي كثير، وهذا هو تدليس التسوية.

وهناك حديثان آخران فيهما ذكر السفياني، أخرجهما الحاكم وصححهما (٤/٤٦٨-٤٦٩-٥٠١-٥٠٢)، لكن تعقبه الذهبي فيهما، فانظر: مختصر استدراك الذهبي لابن الملقن، مع حاشية تحقيقه (٧/٣٣٢٥-٣٣٢٦ رقم ١١٠٩) (٧/٣٣٨٧ رقم ١١٢٧).

هذه أقوى أحاديث السفياني، وأنت ترى أنه لم يصح منها شيء. ([٢١٤])

ومن الأمثلة على تلاعب المؤلف واستخفافه بالقراء: أنه مع إيراده للأحاديث الموضوعة المكذوبة، فإنه ينزلها على الواقع متجاهلاً ما يبطل تنزيله وتفسيره من الرواية المكذوبة التي اعتمد عليها نفسها، ومن ذلك اعتباره (السفياني) أنه حاكم العراق، مع أنه أورد أن (السفياني) أموي، وحاكم العراق لا يعرف بـ(السفياني)، ولا ادعى هو ولا غيره أنه من بني أمية، هذا مع بطلان ذلك كله، كما سبق.

ولما أورد عن كعب الأحبار أنه قال: "علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة" [ص : ٣٥ ، ٣٦من كتاب هرمجدون]. يقول المؤلف: "فلما رأيت الجنرال (ريتشارد ما يرز) يقبل

[٢١٤] - انظر فتوى لفضيلة الدكتور / الشريف حاتم بن عارف العوني بعنوان الرايات السود في أحاديث الفتن بتاريخ ١٤٢٣/٧/٢٣هـ على موقع [islam today.net] على الانترنت .

على عكازين ليعلن للشعب الأمريكي بدء عمليات القوات المشـــتركة ..."
ونسي الكاتب أن الرجل الأعرج المذكور في النص عربي من كندة!! فمـا باله تجاهل هذه العلامة؟!! هذا لو صح الخبر، وهو لا يصح!!!.
ولما أورد المؤلف [ص : ٥٤ – ٥٥]أن السفياني يهزم الجماعة مرتيـــن، وفسَّر الجماعة بالجيوش الغربية، رأى أنه لابد أن يجعل السفياني منتصـراً هازما للجيوش الغربية حتى لا ينتقض عليه تنزيله السفياني على أنه حـاكم العراق.
لقد جاء الكتاب بأمثال هذه البلايا التي لا تستخف بعاقل!!!
قال مؤلف كتاب (هرمجدون): "ونقول إن ما جاء به (نوستراداموس) هـو من تراثنا المنهوب وميراثنا المسلوب، الذي سقط منا فالتقطوه، وجـــهلناه وعلموه" [ص:١٤.]
هذا ما يقوله مؤلف (هرمجدون) عن كتاب هذا الكاهن، لقـد جعلـه ممـا استفاده هذا الكاهن من النبي – صلى الله عليه وسلم –، ومـن الأحـاديث النبوية، التي اطلع عليها هـــذا الكـاهن، وغـابت عـن جميـع علمـاء المسلمين!!!
أي طعن في دين المسلمين أعظم من هذا الطعن؟!! وأي تشكيك في حفظه وبقائه أشدّ من هذا التشكيك؟!!
ثم هو بذلك زكّى كلام هذا الكاهن الدجال أجل تزكية، أو جعله متلقى مـن مشكاة السنة النبوية!!!
وبعد فهذه مجرد أمثلة فقط من هـــذا الكتـاب ، وفـي الجعبـة الكثـير !!!!!!!!!!

خاتمـة

فنحن نؤمن بالغيب كما أخبر به القرآن الكريم ، والسـنة النبويـة المطهرة ، ونحن نؤمن بالساعة ، وأشـراطها ، صغراهـا ، وكبراهـا ، ولكن إيماننا بالساعة يدفعنا إلى أن نعد لها ، نريد أن نتحدث عن أشـراط الساعة حديث الحياة لا حديث الموت ، نريد أن يبادر المسلمون بالإنتقـال من مقاعد المتفرجين إلى مواقع المشاركين ، وفي الحديث : (ما ضـل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل).([٢١٥])
قال الغزالي : الإشارة إلى الخلافيات التي أحدثت في هـذه الأعصـار وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات فإياك أن تحوم حولـها واجتنبها اجتناب السم القاتل والداء العضال وهو الذي رد كل الفقهاء إلـى طلب المنافسة والمباهاة ، ولا تسمع لقولهم الناس أعداء ما جهلوا فعلـى الخبير سقطت فاقبل النصح ممن ضيع العمر في ذلك زماناً وزاد فيه على الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلاً وثباتاً ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على غيبه فهجره اهـ ([٢١٦]).
يقول الإمام الشاطبي : (كل مسألة لا ينبني عليها عمل فـالخوض فيها خوض فيم لم يدل على استحسانه دليل شرعي ، .... والدليل علـى ذلك استقراء الشريعة : فإنا رأينا الشارع يعرض عما لايفيد عملا مكلفـا به ، ففي القرآن الكريم : (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيـت للنـاس والحج) [سورة البقرة : من الآية ١٨٩] ، فوقع الجواب بما يتعلـق بـه العمل ،إعراضا عما قصده السائل من السؤال عن الهلال : لم يبـدو فـي أول الشهر دقيقا كالخيط ثم يمتلئ حتى يصير بدرا ، ثم يعود إلـى حالتـه الأولى ؟ ثم قال : (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) بناء علـى تأويل من تأول أن الآية كلها نزلت في هذا المعنى ، فكـان مـن جملـة الجواب أن هذا السؤال – في التمثيل –إتيان للبيوت من ظهورها ،والـبر إنما هو التقوى لا العلم بهذه الأمور التي لا تفيد نفعا في التكليف ولا تجـر إليه . وقال تعالى – بعد سؤالهم عن الساعة : أيان مرسـاها ؟- : (فيـم

---

[٢١٥] – قال الترمذي : حسن صحيح وقال الحاكم : صحيح وأقـره الذهبـي فـي التلخيص . عن أبي أمامة. تحقيق الألباني (حسن) انظر حديـث رقـم: ٥٦٣٣ فـي صحيح الجامع.
[٢١٦] – انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي صـــ ٤٥٤ مرجع سابق .

أنت من ذكراها) أي أن السؤال عن هذا سؤال عما لا يعني ، إذيكفي من علمها أنها لابد منها ، ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة قال للسائل : (ما أعددت لها ؟) إعراضا عن صريح سؤاله إلى ما يتعلق بها مما فيه فائدة ، ولم يجبه عما سأل ، ..... ومن هنا نهى النبي صلى الله عليه وسلم (عن قيل وقال وكثرة السؤال)([٢١٧]) لأنه مظنة السؤال عما لا يفيد . وقد سأله جبريل عن الساعة فقال : (ما المسئول عنها بأعلم من السائل)([٢١٨]) ، فأخبره أن ليس عنده من ذلك علم ، وذلك يبين أن السؤال عنها لا يتعلق به تكليف .... فصح إذا أن من جملة دينهم في فصل السؤال عن الساعة أنه مما لايجب العلم به ، أي علم زمان إتيانها)([٢١٩])

ويعلق فضيلة الشيخ /دراز على قوله أن السؤال عنها لا يتعلق به تكليف ، بقوله : وإلا لعلمه صلى الله عليه وسلم ، وإذا كان هو لا يعنيه علمها ، وهو المعني بالعلم والمعارف الربانية فغيره أولى .

فالجدل وكثرة التفريعات في هذه المسائل لا طائل من ورائهما ، وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعا ، وقد أورد الإمام البخاري في صحيحه باب مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لَا يَعْنِيهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ، وقد علق الحافظ ابن حجر على ذلك بقوله : قوله (باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، وقوله تعالى لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) كأنه يريد أن يستدل بالآية على المدعى من الكراهة وهو مصير منه إلى ترجيح بعض ما جاء في تفسيرها، وقد ذكرت الاختلاف في سبب نزولها في تفسير سورة المائدة، وترجيح ابن المنير أنه في كثرة المسائل عما كان وعما لم يكن، وصنيع البخاري يقتضيه، والأحاديث التي ساقها في الباب تؤيده، ....وقد عقد الإمام الدارمي في أوائل مسنده لذلك بابا، وأورد فيه عن الجماعة من الصحابة

---

٢١٧ – حديث إن الله كره لكم قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال –رواه البخاري واللفظله ومسلم وأبو داود عن المغيرة ، وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة بنحوه .

٢١٨ – جزء من حديث طويل رواه البخاري .

٢١٩ – الإمام الشاطبي : الموافقات – جـ ١ صـ ٤٦ –٤٩ بايجاز وتصرف يسير طبعة دار المعرفة بيروت ، تحقيق الشيخ / عبد الله دراز ، ضبط وترقيم د/ محمد عبد الله دراز .

والتابعين آثارا كثيرة في ذلك، منها عن ابن عمر"لا تسألوا عما لم يكن، فإني سمعت عمر يلعن السائل عما لم يكن" وعن عمر"أحرج عليكم أن تسألوا عما لم يكن فإن لنا فيما كان شغلا"وعن زيد ابن ثابت أنه كان إذا سئل عن الشيء يقول: كان هذا فإن قيل لا، قال: دعوه حتى يكون، وعن أبي ابن كعب وعن عمار نحو ذلك . وأخرج أبو داود في المراسيل من رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة مرفوعا، ومن طريق طاوس عن معاذ رفعه"لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها، فإنكم إن تفعلوا لم يزل في المسلمين من إذا قال سدد أو وفق، وإن عجلتم تشتت بكم السبل"وهما مرسلان يقوى بعض بعضا، ومن وجه ثالث عن أشياخ الزبير بن سعيد مرفوعا"لا يزال في أمتي من إذا سئل سدد وأرشد حتى يتساءلوا عما لم ينزل"الحديث نحوه قال بعض الأئمة والتحقيق في ذلك أن البحث عما لا يوجد فيه نص على قسمين، أحدهما أن يبحث عن دخوله في دلالة النص على اختلاف وجوهها فهذا مطلوب لا مكروه بل ربما كان فرضا على من تعين عليه من المجتهدين، ثانيهما: أن يدقق النظر في وجوه الفروق فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر في الشرع مع وجود وصف الجمع أو بالعكس بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردي مثلا فهذا الذي ذمه السلف، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود رفعه"هلك المتنطعون"أخرجه مسلم فرأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته، ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع وهي نادرة الوقوع جدا، فيصرف فيها زمانا كان صرفه في غيرها أولى ولا سيما إن لزم من ذلك إغفال التوسع في بيان ما يكثر وقوعه، وأشد من ذلك في كثرة السؤال، البحث عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس، كالسؤال عن وقت الساعة وعن الروح وعن مدة هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف. والكثير منه لم يثبت فيه شيء فيجب الإيمان به من غير بحث، وأشد من ذلك ما يوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة.

حتى لو أثيرت مثل هذه التساؤلات فواجب العالم أن يجيب السائل إجابة الحكيم ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليس المهم متى الساعة بل المهم هو ما ذا أعددنا للساعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا

مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ .

فانظر معي إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (ما أعددت لها)؟ قال الكرمانى: سلك مع السائل أسلوب الحكيم، وهو تلقى السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم. ، كأنه قال له : لا تهتم بلك ، ولا تسأل عنه ، والذي يهمك الآن هو ما أعددت لها ، قوله: (أنت مع من أحببت) زاد سلام بن أبى الصهباء عن ثابت عن أنس"إنك مع من أحببت، ولك ما احتسبت"أخرجه أبو نعيم، وله مثله من طريق قرة بن خالد عن الحسن عن أنس. وأخرج أيضا من طريق أشعث عن الحسن عن أنس"المرء مع من أحب، وله ما اكتسب " ومن طريق مسروق عن عبد الله"أنت مع من أحببت، وعليك ما اكتسبت، وعلى الله ما احتسبت". قال ابن بطال: فى حديث أنس جواز سكوت العالم عن جواب السائل والمستفتى إذا كانت المسألة لا تعرف، أو كانت مما لا حاجة بالناس إليها، أو كانت مما يخشى منها الفتنة. أو سوء التأويل.

وأنت ما أعددت لها ، أنت مع من أحببت ولك مااكتسبت ،وعلى الله ما حتسبت .

أهم المراجع

١-القرآن الكريم .

٢- كتب الصحاح وشروحها .

- ابن خلدون :

-المقدمة – طبعة القاهرة – بدون تاريخ.

-الإمام ابن القيم :

-المنار المنيف في الصحيح والضعيف : تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ،طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية _ جمعية التعليم الشرعي – حلب ١٣٩٠هـ- شفاء العليل

- الإمام ابن كثير :

-النهاية في الفتن والملاحم -طبعة دار الغد العربي الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

- الشيخ أحمد شاكر :

-حاشية عمدة التفسير عن ابن كثير : اختصار وتحقيق طبعة دار المعارف مصر ١٣٧٦هـ .

-الأستاذ الدكتور / الأحمدي أبو النور :

- مقدمة تحقيق جامع العلوم والحكم – طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

-اسماعيل الكيلاني :

- الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي – مكتبة الأقصى -قطر .

-أمين محمد جمال الدين :

- هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام : طبعة المكتبة التوفيقية بدون تاريخ.

- البرزنجي :

-الإشاعة لأشراط الساعة – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت. الشيخ رشيد رضا :

- تفسير المنار .

- الجزري :

-النهاية في غريب الحديث والأثر – تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محد الطناحي طبعة دار الفكر الثانية ١٣٩٩ هـ

- رضا هلال :
- المسيح اليهودي ونهاية العالم
- الأستاذ / رفاعي سرور :
-قدر الدعوة : طبعة مكتبة الحرمين القاهرة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- د/ زكي صاري طوابرق :
- مسألة المهدي عند بديع الزمان - ضمن أبحاث المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي [تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين] بتصرف الطبعة الأولى .
- السفاريني :
- أهوال القيامة وعلاماتها الكبرى -
- الإمام الشوكاني :
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول - طبعة دار الفكر بدون تاريخ .
- الإمام الطبري :
-جامع البيان عن تأويل آي القرآن طبعة مصطفي البابي الحلبي - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ
-أ.د / طه الدسوقي حبيش :
-المرأة والولاية - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
-الهجرة بين سنن الله الجارية وسننه الخارقة الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م
-أ. د/ عبد الستار فتح الله سعيد - :
-المدخل إلى التفسير الموضوعي - طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة .
-الأستاذ / عبد العزيز بن مصطفى كامل :
-قبل الكارثة نذير ونفير - الطبعة الثانية -طبعة المنتدى الإسلامي بلندن
-دكتور / عبد الكريم زيدان :
-السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية _ طبعة مؤسسة الرسالة الثالثة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
عبد الله بن محمد الصديق الغماري :
- المهدي المنتظر طبعة خاصة بدون تاريخ .

- علي بن سلطان القاري :
-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : بتصرف طبعة دار الكتاب الإسلامي - القاهرة بدون تاريخ .
-الإمام القرطبي :
-التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة : نشر المكتبة السلفية المدينة المنورة .
- الشيخ الدكتور / محمد بن محمد أبو شهبة :
-الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : طبعة مكتبة السنة- الرابعة١٤٠٨هـ
- الشيخ محمد بن جعفر الكتاني :
-نظم المتناثر من الحديث المتواتر-طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠هـ.
- محمد بيومي :
-المهدي المنتظر وأدعياء المهدية - طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
-نبوءات النبي في آخر الزمان والرد على كتاب هرمجدون - طبعة دار الهدى - القاهرة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢ م .
- محمد خليفة التونسي :
ترجمة بروتوكولات حكماء صهيون .
- السيد محمد صديق حسن :
-الإذاعة لماكان ويكون بين يدي الساعة :- طبعة دار المدني - جدة ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م
- الأستاذ محمد قطب :
-قبسات من الرسول _ طبعة دار الشروق الثامنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م
الإمام النورسي :
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز : صـ ٩٣ تحقيق / إحسان قاسم صالحي طبعة سوزلر للنشر الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
- المكتوبات : تحقيق / إحسان قاسم صالحي - طبعة سوزلر للنشر القاهرة .
- الشعاعات : تحقيق / إحسان قاسم صالحي - طبعة سوزلر للنشر القاهرة .

- الكلمات : تحقيق / إحسان قاسم صالحي - طبعة سوزلر للنشر القاهرة .
- يوسف عبد الله بن يوسف الوابل :
- أشراط الساعة --طبعة دار ابن الجوزي التاسعة ١٤١٨هـ -١٩٩٧م
- مجلة الرسالة : العدد الثالث ربيع الأول ١٤٢٣هـ مايو ٢٠٠٢م

فهرس

الموضوع الصفحة

فاتحة .....
المبحث الأول : الحراب الثلاث .....
١-دروع الأمة .....
٢-العلم دين .....
٣-عدول الأمة والحراب الثلاث.....
٤-قائمون على أمر الله .....
٥-وراث المهمة والأجر العظيم .....
٦-واقعنا لا يسر .....
المبحث الثاني : الساعة وأشراطها .....
١-معنى الساعة .....
٢-حديث القرآن عن الساعة .....
أشراط الساعة وأقسامها .....
أشراط الساعة الصغرى .....
أشراط الساعة الكبرى .....
المبحث الثالث : قواعد يمكن الاستهداء بها في فهم أشراط الساعة
القاعدة الأولى : من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إخباره بالمغيبات.....
القاعدة الثانية : لا يعلم موعد الساعة إلا الله .....
القاعدة الثالثة :الإسرائيليات في كتب الحديث.....
القاعدة الرابعة :سنن الله في الكون لا تتغير .....
القاعدة الخامسة :فليغرسها .....
القاعدة السادسة :أشراط الساعة بين الأمور القدرية والتكليفات الشرعية .....
المبحث الرابع : هرمجدون بين الحقيقة والخيال .....
أولا : تعليق على المقدمة ومنهج الكاتب .....
ثانيا:كلمة هرمجدون وأصلها وحقيقتها .....
ثالثا: هل تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو العراق للكويت .....
خاتمة .....
أهم المراجع .....